روايات عبير

مادلين كير

بحار الحب

www.liilas.com
Rehana

٢١٨

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 218

www.liilas.com

قبل زفافها بشهر واحد؛ فوجئت جينى بعودة حبيب طفولتها وصباها راى، بعد غياب خمسة أعوام وانقطاع أخباره منذ عام ونصف؛ كانت قد استراحت لفكرة الارتباط بمدير البنك الذى يكبرها بضعف عمرها مايلز، أهم شخصية فى المدينة، واطمأنت لشعورها بالأمان فى ظله، رغم غياب الحب، رغم إقناعها لنفسها أنها تحبه، رغم رفض أصدقاءه وأخته لها، وتحقيرها كأنها طامعة فى أمواله، رغم تحذير أمها لها ألا تخون عواطفها !!

بظهور حبيبها الذى لايقر له قرار، صانع المشاكل كما يسمونه، بدأت تتزايد الحيرة والشك والمطاردات داخل جينى، بين الولاء لحب الماضى، واستقرار الحاضر؛ وفقدت ثقتها فى مشاعرها؛ وأحكم خطيبها حولها دائرة الحصار بقناع زائف من الإحترام والنزاهة والتعقل، حتى يقطع الشعرة الأخيرة لها مع حبيبها، الذى لاتعرف عن مستقبله المجهول سوى أنه معدم، لامستقبل له.

www.liilas.com

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K.	2,40
سورية	٢٥ ل س	الإمارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٠٠ د	France F 16	
الأردن	١,٥ ف	البحرين	١,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece Drs 320	
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Cyprus P 2,40	
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق		

w.liilas.com

الفصـــل الأول

عودة الحبيب الضال

«شكراً يا سيد إدواردز، صباح الخير».

ختمت جينى دفتر الإيداع وسلمته للعميل، ثم لفت الأوراق المالية غير المرتبة برباط مطاطى. دائماً ما يودع لارى إدواردز جزار القرية أمواله فى هذا الوقت من الصباح ويذهلها غالبا أن الأوراق المالية مشبعة برائحة الدم، وأحياناً تكون نتف اللحم المفروم عالقة بها.

المال هو المال. حدقت جينى عبر النافذة الزجاجية المسطحة التى تفصلها عن طابور العملاء وهى تضع النقود فى درجها. لقد إقترب وقت الغذاء ولم يتبقى فى الطابور إلا عميل واحد.

هذا الرجل الطويل الذى يتخفى بطريقة ملموسة بالجاكت الجلدى الأسود وغطاء الرأس والوجه كاملاً الذى يرتديه راكبوا الدراجات البخارية. نفس الملمح الذى يحيط بشخصيات لصوص البنوك فى السينما، لكنه فى الحياة الواقعية ملمح سعادة من مختلف الأنواع الذين لا تتجاوز جرائمهم ترك دراجاتهم وسط الطريق.

نظرت إليه من فتحة الحاجز الزجاجى وهى تبتسم

«نعم».

صامتاً مرر إليها مظروفاً عبر الحاجز وهو يدفعه بيده ذات القفاز الأسود، وعليه إمسها الكامل جينا نورث كليف.

فتحت جيني المظروف، لم يكن بداخله رسالة أو على الأقل ليست رسالة رسمية، ولا نقود أو حساب دائن، لم يكن به شيئاً له علاقة بعملها.

بل مجرد تحذير وحشي وقرأتها:

«سلمي كل الأموال الآن وإلا نسفت البنك»

تجمد قلب جيني رعبا للحظة، ها هو الكابوس قد تحقق. حادث سطو حقيقي في وضح النهار.

عجزت عن التحرك، وظلت عيناها مفتوحة على إتساعها وهي تحدق في قة غطاء الوجه والرأس الأبيض، والقناع الأسود الذي يغطي وجه المجرم.

أخرسها صمتها وأفقدها القدرة على التفكير في القرار الصحيح، هل تسلمه الأموال، أم تضغط على جرس الإنذار أسفل الرف تحت يدها، أم لا تفعل شيئاً منهما؟.

عندئذ إرتفعت القفازات السوداء لتزيح الخوذة، ووجدت جيني نفسها تحدق في عيون ضاحكة داكنة الزرقة لم ترى لها مثيلا من قبل، وكأنها تذكرك بالبنفسجة.

في صوت عميق قال «لص البنك» «أنا الديناميت هيا. أتشعرين وكأنني أشعل فتيلي؟»

إرتمت جيني على مقعدها وهي ترفع يدين مرتعشتين حول وجهها «يا إلهي؛ منتهى القذارة!»

«ألا يسعدك رؤيتي؟».

«كنت على وشط ضغط جرس الإنذار، ولم يكن هذا

لصالحك يا ريان سفاج!» والتقطت الورقة «يجب أن أمرر هذه إلى مايلز الآن؟»

«لن يكون ولائك؟»

«للبنك، طبعاً!».

كررها بلهجة مستسلمة «طبعا، للبنك.. ومديره الجليل مايلز لانجتون» وتمطى ناحية الحاجز وذراعاه. تكاد تمزق الجاكت من قوة عضلاته، نفس الوجه، لكن ملامح أكبر عمراً، نفس الأنف المعكوف والخدود البارزة، نفس النقن بفلقتها المثيرة الشاعة؛ نفس شبح البسمة على الفم الواسع الذي يبدو وكأنه قد تذوق قبلات الاف النساء.

حتى شعر رأسه، الأسود الفاحم كليله دامسة الظلمة، الخشن المتجعد الطويل، هو نفسه خصلاته تتلوى حول أذنيه وتتطاول حتى كتفيه لكنه لا يخفي القرط الذهبي في أحد أذنيه.

ونفس العيون التي لا تنسى، صافية لامعة كالماس الأزرق.

قال متهما إياها «لقد أقسمت على إنتظاري ألم تستطيعي تحمل إنتظار ثمانية عشر شهراً؟»

قالت بصوت شعرت برنة الدفاع تشوبه «ثمانية عشر شهراً فترة طويلة».

«عموماً، لا يبدو عليك أنك كبرت يوماً واحداً وعيناه تمسح صدرها بنظرة إعجاب واضحة، فهو الجانب الوحيد الذي تراه عيناه «في الواقع يبدو عليك الإنتعاش يا عزيزتي جيني، تبدين رائعة الجمال» وقطب جبينه «لقد جئت، لأقفز من فوق الحاجز لآخذك ونفر معاً إلى جزيرة فيجي».

حاولت جيني أن تلملم نفسها «لم تتغير كثيراً، وهذا ليس

www.liilas.com Behana

مدحاً ؛ هذا كابوس لي » وإلتفتت جانبا لترى إن كان المدير أو أحد الموظفين قد لاحظ شيئاً لكنه انتهز فرصة جيداً، لا أحد ينظر نحوهما، وإلتفتت ثانية إلى ريان سافاج وهي تريه يديها المرتعشتين وهي تتهمه « إنظر! » .

« آه ! دائماً أنت منهارة أمام جاذبيتي القوية » عيونه بعمقها ودفئها مثل سماء صيفية ؛ تفحصت يدها اليسرى « إصبعك الثالث بلا خاتم ألا يستطيع مايلز العجوز شراء خاتم للغالية جينى » .

وهي تحذره « إش إش ! » فهي تعرف أن صوتاً مثل صوته العميق يمكن أن يتسلل بسهولة عبر أجواء البنك « لا ألبسه في العمل »

« لم لا ؟ » يريد أن يعرف .

« مجرد إجراء أمني » .

بلهجة ساخرة « آمان . هل يتركك تنامين في أمان ليلا ؟ اسمعي، كيف حالك، يمكنك أن تخبريني أثناء الغذاء ؛ فلقد حجزت مائدة في مطعم كوبان هات . أمازال الفلفل حريفا كما كان ؟ » .

عجزت عن كبح ابتسامتها، فهي ضعيفة أمامه كما كانت ؛ ومطعم كوبان هات كان أفضل أماكنه لتناول طعامه كنوع من معايشة حياة سائقي الدراجات والجرارات الوضعية . وقالت له « لم أذهب إليه من أعوام، وبالتأكيد لن أذهب معك اليوم، دونا عن كل البشر » .

« معي دونا عن كل البشر » كررها خلفها في دهشة متهكمة « هل أنا مقزز ؟ » .

وهي تمط فمها « أنت صانع متاعب، ودائماً أتناول غذائي

مع مايلز، في مطعم ويلوز » .

وهو يطلق صفارة داهشة « في ويلوز، أيمكنك مجاراته ؟ »

أجابته « تذوق مايلز للمطاعم نفس ذوقه الرفيع لكل شيء، لا تشوبه شائبه، وزبائن المطعم وأولاد العم جرمونائه في غاية الروعة » .

بدأ أكثر ذهولاً « أولاد العم ؟ هذه كلمة غريبة للدلالة على طعام جيد الطهو، أليس كذلك ؟ » وبطريقته المألوفة رفع أحد حاجبيه « بالتأكيد أنت المرأة الوحيدة في المطعم التي بدون طاقم أسنان صناعية والمضمضة الإلزامية » .

كتمت قهقة ضحكاتها، وإلتفتت لتتأكد ثانية من عدم إلتفات أحد زملائها لها، ثم أسندت ذقنها على يديها، وحدقت فيه بعيونها البنية الوسيعة « أفضل طريقة لمشاهدتك عبر حاجز زجاجي وتحت يدي مفتاح إستدعاء البوليس، كيف حالك يا راي ؟ » .

« في أحسن حال » وحقاً ؛ يبدو بالغ الروعة ــ فيما عدا الجاكت الجلدي ؛ الشعر الطويل ــ آه، واللحية الصغيرة التي تحيط بفكه الأسفل وما تحت شفته السفلى ــ يعتبر أوسم وأرشق رجل شاهدته . وهو الذي كانت تستحقه ؟ كان أوسم رجل شاهدته ؛ وصارت ملامحها حالمة وهي تسترجع شريط الذكريات .

خصوصاً ذكرى معينة، الآن صار عمرها ست سنوات، لكنها مازالت حية وكأنها حدثت في الصباح . ذكرى ركوب سيارة رياضية مستعارة والسرعة التي تقطع الأنفاس وتوقف القلب، والتوقف نصف ساعة على حاشية حقل القمح .

وهو يحدق خلفها ثم يرفع صوته « أتفهمين إن لم تأت لتناول

www.liilas.com

الغذاء معى ؛ سأتسف هذا البنك ؟ هل الأخ مايلز يعرف شيئاً عن الليلة التى قضيناها فى ميزراتى ؟ يعرف تفاصيلها دون حذف ؟ سأراهنك وسيضحك كثيراً هو » .

غمغمت « راى ! » ونظرت خلفها ، حيث ظهر مايلز عند الباب حاملاً أوراقه وهو ينظر ناحيتها لكن لم يبدو أنه لاحظ شيئاً ، وتوقف عند مكتب فيرا ديفيد سون وهو يناقشها .

إستراحت جينى ، لأن مايلز يعرف تماماً أنها ورران سفاج كان من قبل .. حسنا ، ماذا كانا ؟ مراهقين ، عشاق ؟ على أى حال ، يعرف مايلز تماماً مايكفى عن ريان مما يثير غضبه من ظهوره هكذا ، وآخر شىء تتمناه أن يغضب مايلز .

وهو ينظر ساخراً من مايلز « الرحمة ياربى ماذا سنفعل بعض الفتيات لتأمين أنفسهن ! من أين حصل على هذه الباروكة الرخصية ؟ »

نهرته جينى « ليست باروكة » فلقد غير مايلز تسريحة شعره بعد خطوبتها إلى تسريحة تشك أنه يعتبرها « شبابية » . وليس الجميع يعجبهم التغيير لكن لم يطاوعها قلبا لتقول له إن التسريحة لا تلائمه .

وقالت له « إخفض صوتك ، ولا تفترض إفتراضات وهمية ! » .

لكن راى لم يكن أبداً الشخص الذى ينصاع لأوامر أحد « تقصدين أنك لن تتزوجيه من أجل أمواله ؟ » كان صوته بنفس حدته .

« راى ، إش ! »

وعيونه تضحك « أعنى ما أقوله ، لن تتملصى من دعوتى على الغذاء وإلا فعلت شيئاً مخجلاً » .

دفنت وجهها فى درجها « لن أستطيع ؛ وإن لم يكن لك مطلب أو مصلحة في البنك فلن تستطيع مجرد الوقوف مكانك !! »

« من الذى قال ذلك ؟ » خلع القفاز من يده ليكشف عن كف قوية وأخرج دفتر شيكات من جيب الجاكت « ناوليني قلماً » .

وهى ترفع حاجبيها « معك دفتر شيكات ؟ وناولته القلم » مع ذلك ماذا تفعل هنا ؟ »

جئت لأرى مراتع طفولتى ، ومقابلة بعض أصدقائى القدامى ، مثلك » .

مدت له لسانها ، وتنهد هو وقال وهو ينزع الشيك « ليس هذا استقبالاً ، لماذا لا يبدو أن أحداً سعيداً بعودتى ؟ »

« قلت لك ـ أنت صانع متاعب . لا يريد أحد أن يراك » .

نظر إليها ، ولمحت شيئاً إيتلع ابتسامتها ووخز قلبها شعوراً بالذنب . شعر به راى أيضاً . ربما جرحه الإحساس بأنه مرفوض كما إعتاد بإنتظام فى بعض الأماكن مثل جرانتلى .

كانت هناك أوقات إجتاحتها بهجة رؤيته عائداً لكن ليس الآن ، فلم يعد كما كان .

وهو يمرر الشيك وبطاقته إليها « إصرفى هذا لى نقداً » .

قالت : « مشكلتك أنك ولدت فى مدينة بريطانية هادئة مثل هذه . كان يجب أن تولد فى بروكلين ، أو فى شيكاغو » وحدقت فى الشيك « خمسمائة جنيه » .

قال « أحتاج النقود لأقضى معك وقتاً طيباً » وهو يغمز لها بعينه .

جينى لها فم ممتلىء يتحذ شكلاً بيضاوياً عندما تبتسم ،

arabicbooks.com

لكن شفتاها الآن مضمومة وهي تقول له «يجب أن يحصل الشيك على تأكيد من البنك».

عيون راى بجمالها الباهر، ورموشه الطويلة التي تعكس أي ومضة، وعندما يخفضها يكون تأثيرهما مثيراً كما يفعل الآن وهو يقول لها «كما تشائين!!»

كان على طرف لسانها سؤاله إن كان الشيك مجرد دعابة أخرى، لكنها إبتلعته. وإنسلت لتمرر الشيك إلى ريتا في قسم الفحص والاستعلام لمراجعة لندن عن وضع حسابه هناك.

قالت ريتا في إثارة وهي تحدق في الشيك بنظاراتها السميكة العدسات «أعرف أنه راى سافاج بمجرد دخوله من الباب!» إتجهت عيونهما عبر الحاجز الزجاجي ناحيته وهو مستند إلى حافة الحاجز، والجاكت الجلد المضموم يحدد ملامحه، مؤكداً كتفيه العريضين، وسطه النحيل، وعضلاته المفتولة، وإكتمال رجولته، وقالت ريتا وهي تشهد «آووه، رائع الجمال!! مكتمل الرجولة، لم يعد منذ سنين».

نصحتها جيني «إفحصي الشيك، لا تريد أي أخطاء».

كلمة أخطاء جعلت عيونها تتسع دهشة «أتظنين أنه يحاول..؟»

«لا، لكن إفحصي الشيء مع ذلك».

«وهو كذلك» ورفعت ريتا سماعة التليفون والتفتت جيني لتواجه مايلز وهو في طريقه إلى مكتبه وهو يرفع إصبعه مشيرا لها «جيني» وأطاعته وهي خائفة إن كان قد لمح راى، وإن كان سيطلب منها تفسيراً لوجوده هنا.

لكن بمجرد دخولها مكتبه، ابتسم لها معتذراً «آسف، يرى ويستر ماكيلفوى يريدني أن أتغدى معه».

حدقت جيني للحظة مذهولة. هذا يتيح لها فرصة قبول دعوة راى. لو أرادت.

استطرد مايلز «ابتليت به، لكنه شر لابد منه كنت أريد التخلص منه لأجلك..»

ردت جيني «لا، طبعاً» فالعملاء دائماً ما يوجهون دعواتهم لمايلز، وبويريستر صاحب مزرعة وفلاح من أهالي المنطقة، وأحد كبار العملاء وأصحاب الحسابات الضخمة في البنك، وكان قد تقدم للحصول على قرض لشراء أرض منذ أسابيع، وربما يريد مناقشة طلب القرض مع مايلز على الغذاء المألوف له النظيرة المحشوة والخمر، «فقط لا تدعه يجعلك تسكر» وابتسمت له.

«لن أسكر، هل ألغي مائدة مطعم ويلوز؟ أم تريدين الذهاب وحدك؟»

إلتفتت خلفها، ثم إستدارت يوخزها إحساس بالذنب، لكن لم يلحظ مايلز، هل تخبره بوجود راى؟ لا، أولاً، لأن مايلز حساس جداً من إقتراب الشباب منها، وثانياً، لأن راى من الأشخاص الذين لا يطيقهم مايلز؛ حتى لو كان عمره ستين عاماً. ولفت خصلة شعرها حول إصبعها «لا، لا، سأتناول وجبة خفيفة في بادبيرجر» مدهش إن إنسلت الكذبة بسهولة!!

«أكيد»

«بالتأكيد».

قال ثانية «آسف» ولمس ذراعها، وبدا أصغر كثيراً من عمره الست وأربعين عاماً. الجميع يقولون هذا. دائماً مهندم، حليقاً، باستثناء شاربه، فهو من النوع الذي يعتبره الناس «ذواقة في ملابسه» ببدلته الرمادية، ونظارته الغامقة، فهو

www.liilas.com Liliana

نقيض راى .

هو له قدر كبير فى بنك جرانتلى ، والبنك يعنى بالنسبة له الكثير. عرض عليه البنك مراراً الإنتقال لفروع أكبر لكنه رفض ، كان مصمماً على عدم الإقتراب من لندن ، أو مغادرة مدينته الصغيرة التى ولد بها . وهو عضو في معظم جمعياتها فهو رئيس نادى الروتارى المحلى ، وسكرتير نادى الجولف أمين صندوق نادى المدينة . وعضو المجلس البلدى للمدينة منذ سنين . وهو مصدر ثقة فى تاريخ المدينة ؛ ويعد كتاباً عن جرانتلى فى أوقات فراغه .

ولن يجد مكاناً آخر يتيح له نفس المكانة الإجتماعية والإحترام الذى يحظى به فى جرانتلى .

بالنسبة لمايلز فالإنتقال إلى لندن مثل الصعود إلى القمر.

فهو ليس بحاجة للمال ، فلقد تركه أبوه ثرياً ، والبنك وحده لا يتيح له امتلاك سيارته الأوشن الصغيرة للذهاب للبنك يومياً ، وسيارة أخرى جاجوار جديدة فى جراج منزله الضخم فى أطراف المدينة ، ولنش فى النهر القريب .

جينى لم تقع فى حب مايلز ، فقط فخورة به ولم تستوعب عاصفة الفرح التى إجتاحتها بإختياره لها دونا عن كل فتيات المدينة ، وابتسمت له بحرارة .

« لا تعتذر يا مايلز ، يجب أن أنتبه لطعامى لا أريد أن أبدو ممتلئة الجسم حتى لا يضيق على فستان زفافى » .

وعيناه تحتويانها من قمة الرأس لإخمص القدم « تبدين رائعة فى عيونى ، أكثر من رائعة »

« شكراً يا سيدى الطيب ، سأعود لمكتبى وهى مسرورة من مديحه ، قبلته وإبتسمت له ، وعادت إلى ريتا .

قالت ريتا لها « حسابه فى البنك يغطى الشيك » وسلمتها الشيك ، وخلعت نظاراتها ، وسوت شعرها وهى تقول « بلغيه سلامى ، سيتذكرنى »

وهى تتجه إلى شباكها شعرت بالذنب ، فهى قد تشكلت فى محاولة راى خداعها بهذا الشيك ، لكن الإحساس بشخصيته المراوغة لم تفارقها .

وهى تطالع عيون راى الداكنة الزرقة ثانية بدا واضحا وماثلا أمامها التناقض بينه وبين مايلز .

قال متحديا « حسنا ؟ »

ردت « بإمكانك تسلم الخمسمائة جنية كيف تريدها ؟ »

« أعرف أننى سأسحب الخمسمائة جنية ، وأريدها بأوراق من فئة الخمسين جنيها هل لديكم منها فى هذا الفرع الفقير ؟ »

قالت مداعبة « ربما ورقة أو اثنين » وهى تعد الأوراق .

« أقصد هل أخبرت الأخ مايلز أنك ستتناولين الغذاء معى اليوم ؟ »

وهى تعد العشرة أوراق مرة ثانية « لا ، لكننى سأخرج معك ، لو كنت رصينا كتوماً » .

وهو يهز رأسه متهكما « رصين متكتم ؟ إين عم ؟ يا صغيرتى جينى نورث كيف ، أنت هذه الأيام تلفظين كلمات غريبة ! ! إذن ما لزوم التكتم ؟ »

قالت بلهجة آمرة وهى تسلمه النقود « إنتظرى أمام محل الحلويات الساعة الواحدة والربع ، ولا تأت هنا أبداً ، أثناء وقوفى بالشباك ! » .

وهو يبتسم متغابياً « محل الحلوى يبعد شارعين فهل أنت تشعرين بالعار منى ؟ » .

« مايلز يعرف .. » وعضت شفتها لإندفاعها فى هذا الكلام الأحمق ، لكنه فهم ما تعنيه مقطباً جبينه .

« مايلز يعرف ما كان بيننا ؟ يا إلهى ! ماذا ستفعل يا عزيزتى ؟ » .

تجاهلت السؤال الساخر « ريتا ويست بروك التى تعمل فى الفحص والاستعلام ، ترحب برجوعك » .

وتتبعت نظراته وهو ينظر إلى ريتا ، وإحمر وجه ريتا بالسعادة .

عاد راى ليحدق فى جينى ، وهو يضغط شفتيه بأسنانه الناصعة البياض مثل الثلج « سأراك عند محل الحلوى يا حلوة » ووضع النقود فى جيبه وسار ناحية الباب .

شاهدته جينى وهو ينصرف ، والتفت ليبتسم مودعا لها ، قبل أن يخرج للشارع .

تنهدت عندما إنغلق الباب خلفه ، هكذا هو راين سافاج رجل متمرد وشخصية مثيرة للنساء ولم يتغير أبداً .

لقد أقسمت على إنتظارى !! لو كان فقط قد إهتم بالإستقرار فى وظيفة ملائمة وحياة محترمة مثل الجميع ؛ ربما انتظرته عشرين عاماً لو أراد ..

فرصة أخرى . راين ليس من النوع المستقر ، ولا يهدأ له قرار ؛ أجرت حسبة سريعة . هى الآن عمرها إثنين وعشرين عاماً ؛ وهو فى السادسة والعشرين من عمره . ومهما كانت وظيفته الغامضة فى لندن ؛ والتى مكنته من صرف شيك بخمسمائة فهى تتمنى أن تكون وظيفة محترمة ملائمة .

إنسلت إبتسامة عبر شفتيها وذهنها يسترجع شريط ذكريات مضت منذ خمس سنوات ، وعشرة وخمسة عشر عاماً ، كان دائماً

راى سافاج معها فى حياتها ، بحضوره الغامض المبهج المحرم عليها الإرتباط به ، بدراجته المزمجرة كالرعد ، أو وهو يستند إلى السور ويطلق صفارته ونظراته الذاهلة وهو يضحك لها .

عندما بدأت مرحلتها الجامعية بدأت تشعر به كرجل حقيقى . فى تلك الفترة ، كان راى فى عامه الجامعى الأخير ، وهى فى عامها الأول ، وكانت ترمقه بإعجاب ورهب .

الجميع يعرفون أنه من منزل منهار ، ويعيش بلا حول مع عمه وعمته ، ولا يدرى أحد أين والديه ، كانوا موضوع أقاويل وشائعات لكن لم يعر الموضوع إلتفاتاً .

كان هذا الشىء الذى جذبها إليه منذ البداية ، فنزلها أيضاً محطم ، لكن ليس بسبب الطلاق ، لكن لوفاة أبيها المبكرة وهو الحادث الذى تركها فى شعور دائم بفقدان الأمان .

لو كان راى قد شعر بنفس الشعور بفقدان الأمان ، لما كان قد تصرف معها بطريقة أخرى ، طريقة مخالفة القانون والأعراف والتقاليد ، كان دائماً مصدراً للمتاعب ، متورطاً فى مشاجرات فاقدا وعيه من الإفراط فى شرب الخمور مع اللصوص والمحتالين فى البارات المحلية ، كانت أخطائه وتجاوزاته تؤهله سريعاً للذهاب إلى السجن ؛ كان يدبر مقالب تثير نتائج خطيرة .

كان متمتعاً بقوة وحشية عنيفة لا يكبحها شىء . فهو الذى طلى عقارب ساعة المدينة باللون الأحمر ، وهو الذى ضبط متلبساً مع تينا هاربور الوصيفة فى البار الملكى ؛ والتى كانت جينى تعتبرها أجمل إمرأة فى العالم ، وهى أكبر من راى على الأقل بعشرة أعوام .

وهو الذى استعار المازيراتى وقادها عبر أجراس الريف حتى نفد الوقود ، ورغم أن قليلين كانوا يعرفون أن جينى

elibrary-kitab.com

داخل السيارة معه عندما أمسكهما البوليس فى النهاية ليلاً.

كانت تخرج معه فى تلك الفترة، ليسا كعاشقين، مجرد لهو. لكنه أحبته من أعماق قلبها المراهق. وتجرعت مرارة فراقه بعد ذلك.

كل الآباء، والشرطة، ورؤساء النوادى ونظار المدارس فى جرانتلى، تنفس جميعاً وأعربوا عن ارتياحهم عندما قرر راى الحصول على شهادته النهائية، وركب دراجته البخارية وطار بها راحلاً باتجاه لندن.

لكنها هى غمرها الحزن ولوعة الفراق.

فى البداية افتقدته بكل رومانسية ومشاعر المراهقة الحالمة، وصبت عليه لومها لإذاقتها مرارة الفراق. عاد بعد ذلك عشرات المرات أخرها، منذ عام ونصف، كان يجىء دائماً لرؤيتها بنفس التكشيرة ونفس الأمر، إقسمى على إنتظارى.

كان يغمرها السرور لرؤيته دائماً، رغم تلاشى إندفاعها المراهق. لكن مع ذلك كانت منبهرة لإستمرار اهتمامه بها، وحلمت بعودته دائماً.

حتى ملت انتظاره. لكن هذه المرة الأمر مختلف فلقد جرت مياه كثيرة فى النهر، هناك مايلز، مايلز العليم بكل شىء فى المدينة الصغيرة، ويعرف أنها كانت معجبة وأكثر من معجبة بريان سافاج. سيشتعل غضبه مما ستفعله الآن.

لقد تغيرت فى الشهور الثمانية عشر الأخيرة ونضج تفكيرها؛ وتحول شعورها المندفع بريان إلى فهم بارد، كأمر واقع، فإن عودته ريان سافاج والترحيب به مثل عودة ثعلب إلى برج حمام.

تلاشت البسمة الحارة. لن تتحمل رؤية أحد لها معه فى

مطعم كوبان هات. خلال شهرين ستزوج أكثر رجال المدينة إحتراماً. لو وصلته كلمة، ستحدث مشكلة. لن يتقبل مايلز تفهم دافعها الحقيقى ربما يتشكك فيما هو أسوأ. وهو يمثل أهميته له ذاتية ضعيفة؛ سيشعر بحرج مؤلم لفكرة أن خطيبته مازالت مرحبة بإهتمام شاب آخر بها. وهى مهمومة جداً ألا تجرحه.

هى مستعدة لموعد الانصراف للغذاء، لأجل مايلز، لأجلها، ستتصرف بحذر شديد.

أنتظرته على أدراج محل الحلوى، فى فستانها الصيفى الخفيف. لأول لحة، لن يلمحها أحد.

لكن بمزيد من التدقيق؛ بملامحها المميزة بفمها الرشيق الرائع وأنفها الشامخ وذقنها وعيونها البنية الوسيعة اللامعة.

وساقيها اللتان تشبهان تلك التى تظهر فى الإعلانات، مشيتها الرشيقة التى تجعلها فتاة مثالية التكوين.

وأصدقاء مايلز الذين يتعجبون لإختياره فتاة أصغر منه بعشرين عاما، ويحسدونه عليها.

جينى أصغر منه بعشرين عاماً، ويحسدونه عليها.

جينى نورث كليف ليست جميلة، هى أفضل من الجمال. هى جذابة مرغوبة، وهذه الصفة تبقى بعد اختفاء الجمال السطحى.

طبيعتها دافئة عاطفية مؤثرة ــ إنثوية عنيدة، ارادتها حديدية، حتى أوثق أصدقاءها يتهمونها بالانخداع فى الذات، أسيرة عنادها مما يقودها لقرارات مجنونة.

حتى أفضل أصدقائها يعترفون أن تقييمها لا تشوبه شائبة.

لكن هناك قلة من أصدقائها هم الذين صارحوها بذلك.

ولقد أوضح لها مايلز صراحة أنه لن يندرج وسط محيط أصدقاءها. فى الحقيقة، لقد أعجبها وأذهلها أن يقال لها أنها أفضل وأنضج منهن ومختلفة عنهن، هى متميزة. لكن آلمها مشاهدة مايلز يحاول الإختلاط مع بعض من كن يذهبن للمدرسة معها، الفجوة أوسع لدرجة تظهره محطاً للشفقة والرثاء لعجزه الإندماج معهن أو الشعور براحته.

فوق ذلك، لا يروق مايلز لأحد منهن ولم يوافقن جميعا على ارتباطها به. بعض الشباب خصوصاً الذين كانوا يميلون إليها؛ كانوا يميلون للغمز واللمز على مايلز. وبالطبع، لا يمكن إحتمال ذلك.

لا مفر من الإبتعاد عنهم، والإندماج فى محيط مايلز لانجتون وأصدقائه الكبار. ليس لأنها ستكون أفضل معهم، بل على الأقل سيكون مايلز أسعد معهم وبوجودها مع أصدقائه فهم مستقبلها، لكن زملاء دراستها مجرد ماضيها.

لتفكر فى الأمر، منذ أسابيع لم تقابل أحداً من الثلة القديمة، وخروجها مع راى فى ظهيرة اليوم المشمسة، سيكون أول لقاء لها مع رجل من عمرها، منذ فترة طويلة.

أعلنت قعقعة موتور الدراجة البخارية عن وصوله، كانت الدراجة ضخمة سوداء نوعها بى. إم. دبليو، وتوقف أمامها، وناداها لتركب معها.

غمغمت فى سرها «ها نحن ذاهبان» ولفت أطراف جونلتها تحت ساقيها، وهى تركب فوق المقعد الجلدى الساخن خلف راى، محاولة تجنب لمس أى شىء وجذبها بقوة مما جعلها تتعلق بذراعيها حول وسطه وهو يندفع بسرعة.

الفصل الثانى

جارية الرجل الفقير

أسندت خدها على كتفه حتى تتجنب لفح الهواء لوجهها، وشعرت بقوته وعضلات جسده المفتولة وهى تتعلق به خلفه على الدراجة البخارية. شعورها الآن مختلف جداً جداً عن الركوب المريح فى سيارة مايلز الجاجوار مكيفة الهواء. وهى تدعو الله ألا يراها أحد معارفها وهى هكذا متعلقة بأكتاف مايلز بينما جونلتها تتطاير حتى فخذيها!!

وصلوا بسرعة إلى المطعم لكن شعورها بقربه أشعل خدودها حتى نزلت من فوق المقعد، وقفت تصلح هندامها، وغمغمت وهو يطفأ المحرك ويخلع خوذته «لو كنت أدرى؟».

وهو يحكم إغلاق الدراجات «لو كنت تدرين ماذا؟».

«كنت إستعرت خوذتك شاكرة لك» وهى تمرر أظافرها الطويلة فى شعرها «يبدو أن منظرى الآن مثل الدمية».

وهو يدور حول الدراجة ناحيتها «تبدين مثل نجمة سينمائية، ملاك ــ حلم النظرة إليك ما فعلته الريح بشعرك، تلوين خدودك، أراك أخيراً ماثلة حية أمامى».

Rehana

وهى ترجوه «أيمكننا تجاوز ذلك معاً؟ أنا جائعة».

وهو يقترب لصقها «أولا، ترحيب حقيقى بعودتى، قبلة ترحيب».

«لا!»

لكن لا مهرب، إحتضنها، وانحنى ليقبلها قبلة فى شفتيها، طيلة عامين لم يقبلها إلا رجل واحد خطيبها مايلز لانجتون، ولذا إجتاحها شعور دافىء.

قبلات مايلز باردة، مثل بشرته، متحضرة قبلات منزلية تتركها دائما فى حالة رضا واشباع.

لكن قبلات راى دافئة، فم دافىء، جسد دافىء الذى احتضنها، إهتزت له، لسانه دافىء الذى لمس شفتيها.

واشتعلت داخلها نار الشوق؛ واقتحمتها أشعة شمس ظهيرة صيفية عبر نافذة روحها المفتوحة على مصراعيها، ابتعدت عنه، وتململت من بين ذراعيه، وتراجعت خطوتين وهى تقول «راى إياك والاجتراء على فعل ذلك مرة ثانية».

وهو يتنهد مبتسماً «آه، ذكرى شبابنا».

وهى تضع يدها على قلبها «لم أعد بنت السادسة عشر بعد، فقط لا تفعل ذلك ثانية» وهى تحاول تهدئة خفقات قلبها المتسارعة.

وهى تمط أنفه وكأنه يتشممها «رائحتك سماوية لم تكن رائحتك هكذا فى البنك».

«لقد تعطرت قبل مجيىء لمقابلتك قبل مغادرتى البنك، ليس لصالحك عموماً».

كانت ضحكته ناعمة، عميقة «تعالى هيا لنأكل»

قادها داخل المطعم ويده ممسكة بذراعها

كلمة مطعم تعتبر كلمة مهذبة كوبان هات الذى يعكس صورة مكسيكية، وهو مقام عند منحنى الطريق إلى لندن، مما يجعله مكان راحة وتوقف لسائقى الناقلات والدراجات البخارية ومسافريهم مكان خشن، حيث يمتلأ مكان الوقوف باللوارى والدراجات البخارية، لكن الطعام رائع، وكانت الرائحة التى تسللت إليهم تسيل اللعاب.

كان المطعم غاصا بزبائنه الذين يأكلون وسط صخبة عاس، ووجد راى لهما مائدة هادئة نسبيا، تطل على الحديقة الخلفية.

قدم لها مقعداً وأجلسها، ثم جلس قبالتها ثم فتح سوسته الجاكت الجلدى حتى منتصف وسطه كاشفا عن تى شيرت يظهر صدره.

كان صدره عاريا عضلاته قوية، مغطاة بخصلات شعر أسود. وتبدو معدته تحت التى شيرت كلوح مسطح رخامى، وقال وهو يخلع قفازاته «لماذا تحدقين هكذا، هل صدمتك أو خذلتك؟»

وهى تنتهره «ستصدم وتخذل فقط عندما تتوقع شيئا أفضل، لكننى دائما لا أتوقع منك سوى ما هو أسوأ»

وهى يمرر القائمة لها «يالأسى، أنت خبيرة فى الطهى؛ إختارى شيئا مدهشا»

قرأت قائمة الطعام بتقزز «لوبيا وفلفل حار، وفلفل حار ورقاق مكسيكى محمص؛ وتاملى «كسكسى مكسيكى باللحم المفروم «ستكون رائحتى كالقرويات عندما أعود إلى البنك»

سألها متهكما «ماذا يعجب العزيز مايلز أن تكون رائحتك؟ سمك مشوى وشرائح طماطم؟»

arabic-books.com

ردت ساخرة منه «مايلز يأخذنى لأماكن ليس مزدحمة بسائقين اللوارى، ويعاملنى كهانم»

وعدها «ظلى معى وسترين الجانب الأدنى للحياة فهو أكثر إقناعا من حياة القمة، أضمن ذلك» رفع أصابعه للجرسون، وأمره «كسكسى وسلاطة مكسيكية لإثنين؛ وزجاجتى بيرة مثلجة.

إبتسمت فتاة المطعم وإنطلقت لإحضار طلبه، ومال على المائدة ليقول «الآن، فسرى!»

سألته «أفسر ماذا؟» وهى تتجنب نظراته.

«هذا الإنحراف مع مايلز لانجتون» وهو يشير بإصبع الاتهام لها «لقد وعدتنى بإنتظارى ياجينى»

إبتسمت ابتسامة باهته «ذلك الحلم القديم؟ لقد تعبت من الإنتظار، وتكتفى بالعودة من حيثما كنت لتطلب تفسيراً بعد عامين ونصف يا راى».

«كل هذا الوقت؟ ماذا جرى طيلة هذا الوقت؟»

«كنت فى البنك طيلة تلك الفترة» كما لو أن ذلك إجابة على سؤاله.

«وفى تلك الفترة قررت قضاء بقية عمرك زوجة من الطبقة الوسطى فى جرانتلى؟»

قالت بإختصار «أنت لاتعرف مايلز أو يجب ألا تحتقره».

سألها بتأكيد أحرت له وجنتاها «من قال أننى أحتقره؟».

«تزدرينى إذن؛ لأن مايلز رجل غير عادى وأنا أحبه، فهو مختف؛ ذكى وفاتن».

«هو أيضاً مقزز ومل ومتوسط العمر وثرى» كانت الشمس

تغطى وجهه وأمالت بشرته إلى لون ذهبى وعيناه إلى ياقوتين «كم عمره؟ خمسين عاماً؟ عندما تبلغين نفس عمرى يكون هو قد أحيل للمعاش هل سيصمد حبك له؟» وهو يحدق فى عينها «ستسأمين من ذكائه ياعزيزتى»

قالت ببرود «مايلز عمره ستة وأربعين عاماً، وعندما أكون فى مثل عمرك يكون قد بلغ الخمسين، وسيبقى كما هو الآن ــ رجل ناجح محترم جداً فى مجتمعنا».

كرر «النجاح والإحترام، هل ستتزوجينه لهذه الصفات؟».

«ليست من الصفات التى تعجبك؛ كما أعرف لكنها تعجبنى».

«لايهمنى نوع النجاح الذى تقصدينه ــ حساب متخم فى البنك، وبالنسبة للإحترام» وارتسمت الابتسامة الساخرة على شفتيه «يمكننى إكتساب ذلك وقتما أريد».

«بقبضتك ولكماتك؟»

«بأى طريقة أختارها، فأنا عبقرى فى مجالى»

وتناول يدها اليسرى، وتفحص خاتم الخطوبة «مبهرج، سأعتبر هذا لصالحى؟»

قالت بفخر «إنه ماس قيراط واحد أزرق أبيض» لقد لبست الخاتم قبل إنصرافها من البنك، ونظرت لإصبعها النحيل فى كفه القوية «إنه خاتم من حجر ماس ممتاز، غالى جداً».

«لاشك فى ذلك» وربت راحتها بلطف مبتسماً لها وقال بنعومة «كم أصبحت جشعة خبيثة»

سحبت يدها بعيدا، والغضب يعتريها «اللعنة عليك يا راى!! إنت أحق!! وكيف تقيم ما أفعله أو تقيمنى؟»

«أنا أول رجل قبل هذا الفم الجميل الصغير» ذكرها بتعبير فاجر.

«هذا قديم؛ منذ وقت بعيد» مازالت غاضبة وكانت على وشك الإنصراف لو كان بمقدورها العودة إلى المدينة «ليس هذا من شأنك، ولقد أصبحت مرتبطة بمايلز؛ فهو شخص عزيز على أمي وأنا أقدره، أحياناً لانستطيع العيش بدونه».

«قلبي معه. إذن ستتزوجينه عرفانا بجميله؟»

«سأتزوجه لأنني مهتمة به!»

أحضرت فتاة المطعم الغذاء ورتبت وضعه على المائدة.

منذ زمن لم تأكل جيني شيئاً كهذا الطعام المكسيكي كان الطعام حريفاً جداً، قالت متأوهة «يا ربي!!» ومدت يدها لزجاجة البيرة، كان مذاقها لذيذا بعد الفلفل الحار، وجففت فمها بالمنشفة «هذا الطعام يلائم فم صخرى!!»

«لهذا لابد من شرب بيرة مثلجة معه» كان راى يأكل بشهية وخبرة «إنه أفضل من السمك المقلي أجهزى عليه»

وهى تبتسم، أطاعته، فالطعام شهياً رغم حرقانه وعندما طلب راى بيرة أخرى لم تعترض.

وهى تضع الزجاجة «ماذا عنك، أين تعمل؟»

وهو يذكر إسم قرية قريبة «فى هذه اللحظة أعمل فى نيوتن، أحب قضاء شهور الصيف فى الريف»

سألته «فى مزرعة لاكون، كما فى السابق؟»

أومأ لها، وتنهدت جيني «لقد خنت سبب لفحة بشرتك بلون الشمس، آه، يا راى أهذا ما كنت تفترض إنتظارى له؟ لقد أحزنتنى»

«لماذا؟»

«لديك إمكانيات عديدة. متى ستبدأ ممارسة مهنة؟ لن تقضى بقية عمرك تعمل فى مزارع الآخرين»

سألها «لم لا؟»

«الآن بمقدورك عمل الكثير»

«تقصدين، أن أظل حبيس البنك طيلة اليوم، مثلك؟ أنتهى بكونى رئيس النادى المحلى، مثل مايلز لا يجتون؟»

ردت عليه «لاتذكره، إهتم بنفسك، ستضطر للإستقرار يوما ما مثل الآخرين»

ضاقت عيناها تشككا «كيف حصلت على نقودك طالما تعمل موسميا فى الحصاد؟».

مكشراً «أحب هذا فقط؛ إنهم مثلى هؤلاء الذين يطعمونك يا عزيزتى».

«وهذه الدراجة تبدو جديدة ـ وغالية»

«ولا تذكرى هذا» وأشار إلى شارة الجاكت الجلدى الجميل «لقد كلفنى الكثير»

«إذن من أين حصلت على كل هذه الأموال؟ ليس من مزرعة لاكون!»

«لا؛ ليس من هارى» صب بقية زجاجة البيرة فى كأسه» لقد حققت بعض الأرباح فى لندن»

«مثل ماذا؟»

«لا تسألين حتى لا تسمعى أكاذيبا»

تلاشت شهيتها «آه يا راى! ألم تتورط فى..»

«فى؟» وهو يرقبها بتعبير متضايق قليلاً.

«شىء فظيع مثل المخدرات أو الجريمة»

ظل ينظر إليها للحظة، وشعرت بوجهها يشحب وفجأة

www.liilas.com

شعرت بالفجوة التى تفصل راى عن مايلز لا يحتون «آه يا راى، هل؟»

كشر «يا لعقلك الشكاك!»

«إذن ما هو؟ يا راى، أخبرنى أنه ليس أمراً قبيحاً، ولن أسألك سؤالاً آخراً أبداً؟»

سألها «أيهمك هذا كثيراً؟»

«أنت تعرف مدى أهميته لى»

كان وجهه شاحباً وصوته خافتاً «وهو كذلك، إنه ليس أمراً قبيحاً فعلاً» ماذا لو كان يكذب عليها.. حسناً، هو كاذب، وليس بمقدورها شىء حياله. كم هو مختلف عن مايلز! مع مايلز لا تتحير أبداً. لا تتشكك فى كرامته أو نزاهته أو إحساسه بالمسئولية. ربما فى بعض الأمور يكون راى أفضل منه، لكن ليس فى هذه الأمور، لأن مايلز هو الأفضل، لآخر مدى».

تنهدت «أنت على حق، هذا تغيير لطيف»

«مطعم ويلوز مثل قاعة الجنازات»

«ماذا تعرف عنه؟ لا يقدم السمك المقلى كما تزعم بل يقدم أفضل حساء وأفضل دجاج».

«نفس الأصناف الباهتة، أعرف ذوقه؛ بالمناسبة كيف تملصت من غذائك مع الرجل العظيم؟»

«لم أتملص بل مايلز هو الذى ألغاه».

«آه؛ إذن فزت بوجودك بسبب خطأ؟»

تناولت السكين والشوكة، الطعام الحار والطقس الحار والبيرة كلها جعلتها تشعر بدوار «مازلت مصدر متاعب، أليس كذلك؟»

«أوضحى».

«مصمم على التحدث عن مايلز بطريقة تغضبنى.. لكن لن تفلح. لأننى مغرمة به جداً، وأرى قصدك مباشرة».

دعاها «وهو كذلك، ماذا تقول الشارة الملصوقة خلف التى شيرت الذى ارتديه؟»

«مكتوب عليه، صانع المشاكل. ويقول «الشخص الذى يرتدينى لم يكن له منزل مستقر أبداً، أو ينوى اللحاق بالأزواج السعداء».

توقف راى عن الأكل؛ وشرب آخر قطرة بيرة وإعتدل ليرقبها بعيونه الزرقاء اللامعة «إستمرى ماذا يقول أيضاً؟»

«يقول أنك سفيه مدمر، وسعادتك الوحيدة فى الحياة هى إثارة المتاعب للآخرين. ويقول أنك غيور مجنون».

«غيور عليك؟».

«على أى إمرأة تلمسها. لا تقدم لهن شيئاً وتكره رؤيتهن سعيدات مع رجل آخر. وهذا يظهر مدى تفاهة حياتك، ولذا تدفعك غيرتك للتطفل عليهن لتبدأ تدميرك. وهذا هو الأمر الذى تجيده».

إنتهت وتفحصته «آسفه يا راى، لكنك الذى طلبت منى، ولم يكن من حقك التحدث عن مايلز بتلك الطريقة» كانت لهجتها رقيقة.

«حسنا، حسنا» كان ينقر المائدة بأصابعه عادته القديمة «لقد نضجت فى العام ونصف الماضى وأصبح لك مخالب شرسه».

بسبب ما، وخز قلبها شعور بالذنب.

وقالت مدافعة عن نفسها «لا تستطيع إنكار أنها تصوير

Behance

دقيق لك».

وعيناه لم تتحولا عنها «ربما كانت كذلك منذ خمس أو ستة أعوام مضت، ألم تشعرى أننى سينصلح حالى؟»

سقطت نظراتها على صدغه ثم صدره العارى البرونزى «أنت؟ ينصلح حالك؟ هناك حكاية قديمة عن تغيير النمر لجحوره يا راى، هذه هى المسألة.

كان صوته جافاً «أم أن الناس لن يسمحون لى بذلك؛ تتحدثين وكأنك لا تريدين لى أن أتغير»

إبتسمت «ربما، سأشعر بالأسف لو انصلح حالك وتطهرت لتصبح شيئاً ملائماً لأحلام الظهيرة، ربما الألطف أن يكون فى حياتى ولد سىء من أيام الطفولة، يا راى» إعتدلت واقفة لانتباهها لتأثير الكحول «مع ذلك، مرة كل ثمانية عشر شهراً تكفى» وهى تنظر إلى ساعتها.

تتبعها بعيونه «وهل هذا سيكون نفس المعدل لثمانية عشر شهراً أخرى؟»

أومأت «أخشى أنه كذلك، أقصد، أننى لن أنتظرك، تنتهى راحة الغذاء الساعة الثانية» وتنفست بعمق، لأن ما ستقوله سيكون مؤلماً «من فضلك لا تأتى ثانية لترانى يا راى، لو كنت ناضجا وعاقلاً» هزت رأسها «لكنك لم تكن كذلك هذا الصباح، أنا جادة بشأن إرتباطى بمايلز، جادة جداً، لن أسمح لأى شىء بإفساد إرتباطى به، حتى لو كنت أنت، ولا حتى أوقاتنا الماضية».

«أفهم» غامت عيونه وتوقفت أصابعه عن نقر المائدة.

هنأت جينى نفسها على كيفية تصرفها حيال هذا الموقف. بطريقة أفضل مما توقعت فى الحقيقة. فهى المرة الأولى فى حياتها

التى تستطيع التعامل مع ريان سافاج بطريقة ناضجة. المرة الأولى التى تخرسه هكذا! نظرت إليه متحدية، كأنها تتحداه أن يناقشها.

وهو يهز كتفه «وهو كذلك».

شعرت بتغير ملامحها «وهو كذلك، تقصد أنك لن تطاردنى أو أى شىء مثل ذلك؟»

قال ببساطة «طبعا، لا، لماذا أفعل طالما لا تريدينى؟ هناك كثيرات مرحبات فى نيوتن»

وهى تنظر إليه «آه، حسنا، إن كان هذا كل ما تريده..»

لمعت عيونه صدرها الناهد «ماذا أريد غير ذلك؟»

«حسنا.. أعرف مقاصدك غير الشريفة، لكن ليس بهذا المستوى».

«تظنين أننى جئت لأعرقل زفافك؟»

قالت «هذا الإنطباع أنت المسئول عنه»

قال بهدوء «لا، هذا شىء غير رومانسى، أردت فقط التمرغ فوق العشب الجاف».

«ماذا؟»

«ظننت أننا سنتقابل لنجلس فوق مكان يغطيه العشب، هذه عادتنا كما تعرفين».

صدمت، ولم تحاول إخفاءها «راى!»

سألها وابتسامته تضىء وجهه «لماذا ذهلت؟ تعرفين أننى مولع بك منذ كان عمرك ست عشر عاماً» أشار لفتاة المطعم، ثم إلتفت ليرى ملامحها المتجمدة «لكن تزوجى مايلز إن كان ضرورياً، لقد فكرت فى ضرورة أن آخذك قبله. فالرجل

www.liilas.com

المناسب للوظيفة المناسبة. وأكره أن يتعجل فى أداء المهمة فيفسدها ويشوش عليك روحك، هل هذا خطأ؟»

وهى تكز أسنانها «يجب أن أقذف الطبق فى وجهك»

ضحك راى بنعومة، وعيناه تتراقص «حلوة أيتها العذراء الصغيرة، بمخالب حادة صغيرة، هل لمست موضعاً مكشوفاً؟»

«أيمكننا الإنصراف الآن من فضلك؟»

«طبعاً؛ يمكننا الإنصراف، رغباتى أوامر لى»

دفع الفاتورة لفتاة المطعم بورقة فئة خمسين جنيهاً من تلك التى سحبها من البنك صباحا؛ وترك بقشيش كبير لها. سارت جينى خلفه خارج المطعم تحت أشعة الشمس الساطعة، وهى مجبرة على التعلق به جالسة خلفه فوق دراجته فى طريقهما للمدينة. بالغبائها لخروجها معه، وتعريض نفسها لهذا التجريح وتلك الإهانة.

«هنا. لتحافظى على تسريحة شعرك للعزيز مايلز».

وضع الخوذة فوق رأسها، وربطها تحت ذقنها كانت تشم رائحة شعره بها، نظيف ورجولى، رفع الوجه الزجاجى ليتحدث معها «هذا رد فعل غريب بالمناسبة».

سألته بإختصار «ماذا؟».

«أنظرى خلفك» أشار وهو يدير رأسها بإتجاه المطعم «عندما سمعت كلامى عن مجيء لإبعادك عن مايلز، بدا عليك الشعور بخيبة الأمل والإحباط».

قبل أنامله ولمس بها أنفها، ثم أعاد أغلاق الوجه الزجاجى للخوذة.

«لن تخمنى أبداً ولو لمليون سنة من الذى جاءنى البنك صباح أمس يا أمى».

«حسنا، طالما هو عويص وغامض هكذا، إذن لن أعرفه» وابتسمت أم جينى «حتى تقررى أن تقولى لى».

«ريان ساقاج».

توقفت أمها عن إعداد المائدة ونظرت إليها «راى؟ ماذا يريد؟»

كشرت جينى «ليسبب مشكلة، ماذا غير ذلك؟ لقد سمحت له بأن أتغذى معه فى ترمقه كوبان هات»

رفعت أمها حاجبيها فى استنكار «آه، يا جينى» وتنهدت «لم يكن هناك داعى للإندفاع. يجب أن تنتبهى يا حبيبتى!»

«كانت متعة فعلاً».

قالت أمها بلهجة حازمة «الأفضل أن تحكى لى كل شىء ونحن نشرب الشاى» وبدأت تزيح الأوانى.

جلسوا ليشربوا شاى العصارى فى غرفة الطعام. المشمسة؛ فى الشاليه الأبيض الذى انتقلوا للإقامة به بعد وفاة أبيها منذ عشرة أعوام. وعندما بدأت جينى عملها فى البنك منذ عام، حيث تزامن بدء عملها مع خطوبتها لمايلز، حصلت على شقة عزوبية بوسط المدينة، والكوخ بعيد جداً عن البنك، بينما الشقة قريبة منه، ولقد أوضحت أمها بدبلوماسية أن الشقة تتيح لها حياتها الاجتماعية.

مع ذلك مازالت تجيء للكوخ لرؤية أمها مرتين أسبوعياً، خصوصاً عندما تريدها أمها لمساعدتها فى أعمال المنزل ــ كما اليوم؛ وهما تتناولان الطعام شرحت لها جينى لقاءها مع رايان وذهابها معه للمطعم.

عندما تسترجع تجده أمراً غريباً على تفكيرها كيف تعاملت مع راى بمهارة، فهى المرأة الأولى التى تستطيع السيطرة على

تلك العلاقة وتفرض رأيها، ربما علامة نضجها، منذ إرتباطها بمايلز..

كانت عنيفة مع راى. ربما قاسية جداً، وتذكرت كلماتها له أنت سفيه ومدمر، وسعادتك الوحيدة فى الحياة فى إثارة المتاعب للآخرين. هذا غير لطيف منها، لكنه حقيقى. وربما حان الوقت ليقوله أحد لريان، حقيقة نفسه. ولقد أثارها بهجومه على مايلز فإستحق تلك اللدغة..

إستمعت أمها برود بنك نورث كليف في صمت بليغ وهى تستمع لرواية جينى ــ وهى تستعيد بعض التفاصيل الفرعية، مثل الطريقة التى قبلها بها راى فى موقف السيارات، كانت تعبيراتها مهمومة. فمن السهل معرفة من أين جاءت جينى بوجهها الوضىء الجميل وطابعها الجذاب، فازالت أمها شابة، جذابة. حتى لمسات المشيب التى تخللت شعرها، التى تزايدت بوفاة زوجها، ومع ذلك تظهر نضارة وجهها.

تنهدت بعد إنتهاء حكاية جينى «أتمنى فقط ألا يسمع مايلز عن هذه الحكاية؛ فليس من الحكمة يا جينى خصوصا الذهاب إلى مطعم كوبان هات، دونا عن كل الأماكن!! ربما شاهدك أحد هناك، فضلا عن سمعة المطعم الرديئة».

«أعرف؛ مجرد فرصة عابرة» رغما عن ذاتها مازالت تبتسم لذكرى هذا الغذاء «لكن، كما قلت لك؛ لقد تعاملت مع الموقف دونما متاعب. على أى حال؛ ماذا بمقدورى أن أفعله؛ كان منتهى القسوة أن أهينه، عندما جاء لرؤيتى خصوصاً، فلقد كان صديقاً قديماً».

كررت أمها وهى تؤكد على الكلمة «مجرد صديق؟»

«لم أعد متعلقة به، لا تقلقى» وملأت جينى طبقها بمزيد

من الطعام «لقد تخلصت من إندفاعى أيام التلمذة وتعلقى براى كان فى الماضى» توردت خدودها «فى الواقع، لقد أتاح لى أمس فرصة تأمل كل شىء ثابتة، لم أعد أرى لماذا كنت أعتبره مدهشا. كان يجب أن تشاهديه يا أمى، كان مرتديا مثل جيمس ديان أو أى شخص مثله، مرتديا ملابس جلدية، خشنا.. بدائيا، فى الغالب، كنت أجلس متحيرة لما كنت أقدره فيه»

«هل فعلا؟»

«حتى لا يرقى لمستوى المقارنة مع مايلز»

قالت أمها «ليست مسألة مقارنة» وهى ترتشف كوب شاى «إنها مسألة فهمك لعواطفك وقلبك»

«إستمرى يا أمى، أنت تعرفيننى أفضل من ذلك سأتزوج مايلز لا نجتون خلال أسابيع قليلة»

قالت بلهجة ضيق «أنا لا أقابله، لقد عاد لتوه ولو رفضت الخروج معه، ربما بدا وكأننى مازلت أهتم به، وأنا تحديداً لست كذلك، كانت مجرد فرصة لوداعه، ولأخبره كيف تسير الأمور مع مايلز، ولأطلب منه عدم مضايقتى ثانية».

عيون أمها داكنة بلونها البنى، تفحصت وجهها بحكمة صارمة «وتقولين أنه يعمل فى نيوتن فى أشهر الصيف؟»

«نعم، لكن هذا لا يعنى أنه سيطاردنى، ياماما، لقد حذرته أمس».

«لم يكن ريان سافاج أبداً من النوع الذى يستمع لتحذير، فهو دائماً يفعل كما يحلو له ولا أستطيع حصر أولئك الذين رتبوا لإعادة تنظيم حياته. كانوا جميعهم مخطئون».

«حسنا، أعرف أنك لا تستحسينه..»

www.liilas.com

قاطعتها أمها «لم أقل أبداً أننى أمقته، لكن لو فعلت، ليست هذه هى المسألة يا جينى»

قالت بعدم ارتياح «إذن ما هى المسألة؟»

«هى أن ريان سافاج إعتاد التلاعب بعواطفك وأنت إعتدت التعلق به وكتابة إسمه ملايين المرات على أوراقك».

«عندما كان عمرى ستة عشر عاماً»

«وعندما كان عمرك سبعة عشر، وثمانية عشر، وتسعة عشر عاما يا جينى، والآن أخبرتينى أنه عاد للحى، يعمل بالقرب منك، وينوى بشكل واضح إفساد خطوبتك لمايلز لانجتون. وأنت جالسة بإبتسامتك البلهاء، وتقولين أنك مسيطرة تماما على الموقف!!»

«وهو كذلك، تمام، وصلتنى رسالتك سأجعله يقسم على عدم الإقتراب منى ثانية، وسيلتزم بكلمته»

نهرتها أمها «كان يجب أن تحبسى الفر فى القفص، هل فعلت؟»

قالت جينى بثبات «تحديدا، بالنسبة لإفشاله خطوبتى. لا أمل له هناك، وهو يعرف ذلك. مما يؤلمنى أن بعض الناس تفترض أن أتزوج بسبب المال. لماذا يعتقدون أن من المستحيل أن أحب رجلاً أكبر منى بعشرين عاماً؟»

قالت أمها «الناس تتسلى بهذه الطريقة»

«أحب مايلز كما تعرفين، وشعورى بالنسبة لريان مجرد طيف مراهقة، وإنتهى، إنتهى منذ عامين»

«حسنا.. لا أعرف شيئاً عن خيالات المراهقة لكننى أعرف أنك كنت متلهفة على الزواج من راى»

«أتزوج راى؟»

قالتها ساخرة مما دفع أمها لتقول «حسنا جداً يا جينى، أنصتى فقط لصالحك أن تفهمين نواياك جيداً».

«طبعاً، أعرف رأيي؟» وهى تحدق فى أمها التى سدت أذنيها منهكة وقالت جينى «آسفة لصياحى؟»

إبتسمت أمها «لتقول أنك تعترضين بصوت عال» وقفت الأم لتظيف المائدة «هل تساعدينى على تنظيف كل ذلك؟»

كانت جينى مهمومة بشعور غير مريح داخلها، طيلة النصف ساعة الماضية. أمها لها وسيلة للتصريح بأمور عويصة، رغم مظهرها البرىء. وبدأت تفكر أنها لم تكن ذكية جداً أمس.

نزعت ستائر غرفة المعيشة وبدأت إعادة تنظيفها، وتطلعت جينى من النافذة حول الكوخ كما كان دائماً، نظيف، مرتب. وأمها لا تحلم بأن يكون أفضل من ذلك. لكنه ليس مكاناً ملائماً فهى ليست ثرية.

وهذه الستائر تعيد حياكتها للمرة الثالثة كان يجب إستبدالها بستائر جديدة منذ زمن، فى حياة أبيها، كان بإمكانهم إستبدالها بستائر جديدة. لكن وفاته غيرت أمور كثيرة.

عندما توفى أبوها كانت جينى فى الثانية عشر من عمرها، لم تفهم شيئاً عن الديون والتأمينات. لكنها فهمت أن الأمان المالى والعاطفى الذى كان يوفر. لها قد تلاشى فهمت أن وفاة أبيها تركتها هى وأمها وحيدتين وفقراء.

الوحدة والفقر، كلمتان تملأ كيانها بالمرارة أعوام الكفاح كانت دامسة الظلمة وطويلة لاصباح لها. ولن ننساها أبداً. باعوا المنزل الكبير فى القرية.. وإنتقلوا للإقامة هنا، للعيش على ثمن المنزل. لقد شهد الكوخ الأبيض كثيراً من

arabic-books.com Behara

التضحيات ونكران الذات.

هناك بعض الحكم والأمثال التى لونت أعوام مراهقتها التى حوطتها خشونة الحياة وصعوبتها والعيش على الكفاف تلك الأعوام المحفورة داخلها، ولن تنسى تلك الأمثال.

«تحامل على نفسك واعمل، كل بنس توفره مكسب لك، لا تبذر، لا تطلب من أحد. إهتم بالبنس؛ وبعد ذلك سيهتم الجنيه بهم..

لقد كافحت أمها بأقصى طاقتها لتوفر لها أفضل فرص التعليم، كافحت وضحت بنفسها لتوفر لها الأمان والراحة. وجينى بدورها، عاشت دونما رفاهية التى كانت رفيقات عمرها يمرحن فى ظلالها. لقد تعلمت مبكراً، النظر للأمور من زاوية عملية والبدء بالأمور الأساسية، ولم تهدر أبداً المال أو أى شىء بلا مبرر.

فى الأعوام القليلة الماضية، بعد إنتهاء مرحلة الدراسة، وبدأت العمل. بدأت لمسات الراحة تتسلل حياتها. أصبحت قادرة على رد جميل أمها رغم صعوبة قبول أمها لأى شىء. أحياناً تتعجب جينى متى ستعتاد أمها نسيان حياة الكفاف والإقتصاد والتوفير.

أتتزوج راى؟ أبدا ولو بعد مليون سنة لن تهدد كل إنجازاتها التى شيدتها بعناية من أجل رجل يعجز عن الإهتمام بها!!

مهما كان إنجذابها الظاهرى لراى سافاج فلن يستقر فى أعماقها أو يفسد معرفتها العملية بكونه شخص مستهتر غير مسؤول. ولن يكون أبا صالحا لطفلها، وهى لا تريد لطفلها معاناة ماعاشته هى وأمها..

بعد تفكيك الستائر القديمة وإعداد ماكينة الخياطة لحياكتها

من جديد، وبدأ القماش يتمزق، لكن أمها ستعرف كيف تستخدمه، فلا مكان لشىء يهدر فى هذا الكوخ.

كان يغمرها شعور دافىء لمعرفتها أن زواجها من مايلز لانجتون سيكون سبباً لإحداث تغيير جوهرى فى حياة أمها. وهى تتلفت حول الغرفة، ستعيد تزيينها وتأثيثها؛ بأشياء جميلة، ليصبح الكوخ جميلاً.

وغمرها شعور براحة ورضا عميق للتفكير فيما سيمكنها عمله لأمها. مايلز طبعاً، يعرف تحديداً وضع أمها، ووعد عمليا، بالمساعدة المالية. هذا النوع من الطيبة شىء مميز لقلب مايلز الكريم.

لكن أمها لا تدرى بما يخطط لها. لو عرفت لرفضت. وعندما يبدأ مايلز المساعدة، ستقوم جينى بتقديمها بشكل تكتيكى، وإلا ستجرح كرامة أمها. منذ طفولتها وهى تتلهف لمساعدة أمها وجعلها تحيا حياة مريحة، وزواجها من مايلز لانجتون سيمكنها من أداء ذلك.

«ما المثل الذى كانت تستخدمه جدتى دائماً عن الرجل الثرى يا عزيزتى؟» وهى تضع قدمها على يد ماكينة الخياطة».

أجابت أمها «الأفضل أن تكونى حبيبة رجل ثرى من أن تكونى جارية رجل فقير» وغطى وجهها تعبير قديم «لم أسمعه منذ سنين؛ ولا أدرى إن كان به بعض الحقيقة.. ولا أظن أنك ستتزوجين لسبب أفضل من كونك حبيبة رجل ثرى!!»

قالت جينى مؤكدة «طبعاً لست كذلك، لا تكونى سخيفة معى».

مزحت أمها «جارية رجل فقير، تعنى أمى طبعاً، لم توافق

www.liilas.com

أبداً على زواجي من أبيك. وإعتادت أن تقول عنه أنه لن يوفر لك شيئاً »

قالت جيني «حسنا، كانت على حق، أليس كذلك؟ أعني، أن أبي كان محبوباً، لكنه لم يكن فعلاً مسؤولاً. وترك الأمور سيئة عندما مات..»

«آه، نعم، لم يكن رجلاً عملياً، لقد تعلق بي شبان كثيرون؛ كما تعرفين لديهم إمكانيات أكبر منه. وربما كانوا سيوفرون لي حياة أكثر راحة، ولاستمروا معي أطول منه» تطلعت بعيونها البنية الصافية «لكنني كنت سعيدة معه يا جيني، ولم أتأسف أو أندم على إختياري، تزوجته عن حب»

هزت جيني كتفيها «وأنا أيضاً أتزوج عن حب، ياماما، أيجب أن أقسم على ذلك؟»

ابتسمت أمها «لم أقل أبداً أنك لم تحبي، يبدو ريان سافاج وكأنه منغرس تحت جلدك».

تنهدت جيني «دائما كان كذلك، دائماً، لكنه إنتهى لتكمل الستارة الأخرى».

أغلق الموضوع بإتفاق صامت، ومضت بقية الفترة في أحاديث وثرثرة.

لكن ظلت أفكار جيني مع ريان، ومازال عقلها مشغولاً بغذاء أمس.

من الجميل أن تراه مرة ثانية، سواء كان منطقيا أم لا. يا ربي، لقد إفتقدته! لقد إفتقدت شيئاً في حياتها عندما رحل ريان عن جرانتلي، شيء لامع ومثير لاتستطيع تحديده. الشباب، ربما؟ مهما كان، لقد إفتقدته أمها على صواب.

قلبها معلق به، وعندما يرحل عنها، يتمزق قلبها..

لم يهتم أبدا بمشاعرها، في الواقع، لم ينظر إليها ريان سافاج بجدية أبداً.

بينما عاملها مايلز لانجتون بجدية فعلا. يهتم بمشاعرها، ينصت لها، يطمئنها. على العكس منه، تجد ريان شخص ساحر متهمك. لاتتحدث معه بجدية أبداً، لأنه سيغرقها في قهقهاته، وضحكة. وتشعر بنضج مايلز واحترامه.

لقد كانت تعني فعلا ماقالته لريان في المطعم، مايلز يعاملني كبالغ، لايستطيع أي رجل فهم مغزى تلك العبارة، خصوصاً من على شاكلة ريان.

في النهاية يجعلها مايلز تشعر بأنها ذات قيمة، وغالية، ومحبوبة، وإدراكها بمدى رعاية وإهتمام مايلز بها فتحت لحياتها أفقا جديداً. وتلاشت مشاعرها تجاه ريان.

في النهاية وجدت رجلا يحبها، يحبها بطريقة واعية، رجل مستعد للوقوف بجوارها رجل لايهرب عندما يسأم، شخص يوفر لها الأمان، يشكل أسرة معها، ويحميها بمظلة أمان قوية كانت تتشوق لها. والحقيقة هي كونه ثريا لادخل لها بذلك.

لم يزعجها أن مشاعرها تجاه مايلز ليست تلك المشاعر الجارفة، فلقد كبرت على الأحلام.

حبهما من طبيعة عميقة قوية، لايظهر على السطح، ذلك لقوته ولكونه عميقا في روحيهما. بينما شعورها تجاه ريان كان دائماً سطحيا، مثيراً بلا معنى عميق. وليس بمقدور ريان توفير ذلك النوع من الثقة التي يتمتع بها مايلز، وهي تعرف ذلك.

وهي تواجه هذا، تعرف أن الوهم الذي سيطر عليها ذات مرة عن ريان سافاج لن يعود ثانية.

arabic.liilas.com

الفصل الثالث

المطاردة

«تعالى يا لوسى، لن يمكنك قطف كل زهور الشاطىء» قالتها جينى وهى تلتفت لتستحث الطفلة.

قالت لوسى «أحتاج المزيد منها لأننى سأصنع باقة من الزهور» إبتسمت جينى للطفلة فهى مغرمة بالأطفال، لكن لوسى إبنة عمها أليسون وبنت ورث بأعوامها الخمسة، محبوبة جداً ستكون الطفلة الوحيدة التى تحمل الزهور فى حفل زفافها فى الأسابيع المقبلة، وعندما أخبرتها بهذا التكريم بدأت الطفلة تهتم بالزهور.

نظرت جينى إلى ساعتها، يجب ألا تتأخر لوسى عن عشاءها حتى الساعة السادسة؛ ولكن المكان هنا جميل.. وجدت أريكة وجلست تشاهد الطفلة الصغيرة تلعب.

كان أحد أيام الصيف القليلة الحارة جداً، حيث يعتبر النهر المكان الوحيد الذى يتيح جوا منعشا رطبا. كان الشاطىء مزدحما بالناس الذين يتمشون أو يستلقون بملابس صيفية أو يخوضون فى مياه النهر، والأولاد يسبحون هذا غير مسموح به، لكنها فعلت نفس الشىء عندما كانت فى نفس أعمارهم، فى

الثورة مثل هذه.

رغم فستانها الصيفى القطنى، كانت تشعر بالحر لزوجه الثرى. وهى تسمع صيحات الأطفال. وتنظر للمياه بإشتياق، وتتمنى لو كان عمرها أربعة شعر عاما، لكن كيف، عندما كانت تسبح هى وريان فى المياه معاً. تنهدت، وهى تسند ظهرها وتترك الشمس تغطى جسدها.

صاحت لوسى عندما شكتها أحد الزهور، ورفعت وجهها البريء ناحية جينى.

«لقد وقعت الزهور!»

ذهبت إليها وإنحنت جوارها على العشب «لقد قطفت زهور جدها قصير» وبدأت تجمعها وتعيد تنسيقها «يجب أن يكون ساقها أطول من ذلك يا لوسى حتى يمكن وضعها فى الزهرية»

سألتها لوسى «ألا يكفى طولها هذا؟»

أومأت جينى «جميل» وهى تفكر كم ستكون الطفلة جميلة وهى تحمل زهور الزفاف.

من أحلامها أن تنجب طفلة كهذه.. أو طفل مثلها، فإنجاب الأطفال كان عاملاً كبيراً فى قرار جينى قبول الزواج من مايلز.

فلقد خططت هى ومايلز على تكوين عائلة سريعا عقب الزفاف مباشرة، فى ضوء عمر مايلز، من الضرورى إنجاب الأطفال دون تأخير، وهذا يلائمها أيضاً. فهى تريد أن يكون لها أبناء، بسرعة وإلحاح. لأنهم سيحطونها بسياج الأمان الذى تريده.

تناولت يد لوسى «تعالى يا حبى، كفى هذا الآن، أتركى الباقى من الزهور ليتمتع بها الناس».

www.liilas.com Behano

مشت مع لوسى يدها فى يدها ، كانت الطفلة سعيدة بالزفاف المقبل ، كانت فكرتها عن دورها غامضة ، لكنها تعرف أنها ستكون مهمة فى مراسيم الزفاف .

فى طريقها ناحية القرية ، كانت جينى قلقة من صوت الدراجة خلفها ، تحركت إلى حافة الطريق ، لكن الدراجة أبطأت سيرها وتوقفت ، وسمعت صوتاً مألوفاً يقول « حسناً حسناً ، يا لها من صورة جميلة » .

إستدارت وهى تعرف أنه راى ، كان مستندا على دراجته ، مبتسماً مستظرفاً صدره عارى ، يرتدى بنطلون تدريب فقط ، بشرته تسطع تحت الشمس فى شكل برونزى .

سألته « كيف عرفت أننى هنا » وهى لاهثة النفس .

مقطبا وعيونه الصافية تلمع « ألا تؤمنين بالمصادفات ؟ »

« طالما تتعلق بك لا أؤمن بها » وهى ترمقه بنظرة إزدراء « تتظاهر كاشفا جسدك ؟ »

« الجو شديد الحرارة كى أرتدى القميص ، ودراجتى فى الجراج ، وهذا ما استطعت استعارته من المزرعة لقد ركبت الدراجة من نيوتن حتى هنا » وهو يومىء برأسه ناحية النهر « أتتذكرين عندما كنا نسبح فى أيام الصيف ؟ »

إعترفت « كنت أفكر فى ذلك » مازال قلبها يخفق بعنف بتأثير الإثارة لرؤيته .

مهما كان ريان ، جسده جميل ، مثل تمثال اغريقى لأحد آلهة اليونان الرائعة . عضلاته منحوته جيدا ، بارزة تحت جلده الذهبى ، كتفه العريضة تنساب بسلاسة حتى وسطه النحيل ، بنطلونه الجينز ملتصق بساقيه ، الشعر الأسود يغطى صدره ، يبدو مظهره بدائيا .

وهو يرفع ساقه ليدور هابطا من دراجته كان منظره يشبه مشاهدة تمثال يبعث للحياة . كانت عضلاته مرنة جداً .

إنحنى إلى لوسى متسائلاً « من هى ؟ ، هل هى سيدة صغيرة ؟ »

أجابت جينى « إنها لوسى ، إبنة عمى أليسون ، أعيدها لتناول طعامها قبل الشاى »

« مرحبا يا لوسى » تناول الطفلة بين ذراعيها وطوحها ، وأسندها على صدره وهو يقول لها « إسمى ريان ، وأنا رجل عظم جداً جداً » .

رد لوسى بصوتها الضعيف « مرحبا » .

إبتسم ريان « يا لها من باقة زهور جميلة ، لم هذه ؟ »

أجابت « زهورى أنا ، لكن بإمكانك أخذ بعضها »

« لا أريد ، ربما تحتاجينها يا جميلة »

كانت جينى تشاهدهم صامتة ، لكن قلبها يدق بعنف ، بسهولة يمكن أن تكون له طفلة مثل لوسى بعيونها الزرقاء وشعرها الأسود ، كم هو جميل ، والطفلة بين ذراعيه !! كم هو وسيم ومديد القامة ، مثل الصور التى ترسمها القصص لكنها لا توجد فى الحياة الواقعية .

بشعور يشبه الأسى واللوعة كانت تفكر كم سيكون أبا مدهشاً ، لو إستقر وتزوج فتاة محظوظة ، وأنجب أطفالاً حسانا سعداء أصحاء ؟ كانت الفكرة مؤلمة لا تطيقها لسبب لا تدريه وشعرت بجفاف حلقها .

كانت لوسى تقهقه فى مرح الآن ، كان راى يطوح بها عاليا فوق كتفيه ، وهى تتعلق بعنقه ، تبعثرت باقة ورودها ونسيتها . مد راى يده لجينى « لست فى عجلة من أمرك أليس

arabic-books.com

كذلك ؟ »

« يجب أن تتناول لوسى عشاءها .. » لكنها تناولت يده ، مع ذلك ، تشعر بأصابعه القوية ممسكة بأصابعها « لن أبقى أطول من ذلك يا راى » .

أمرها « آه ، أبعدى هذا عن ذهنك ، لست مقززاً كما تعرفين ، يمكنك التحدث معى للدقائق دونما خطورة » .

تمشيا حتى حافة النهر ووقفا ينظرون ناحية الشاطىء الآخر ، كان قلبها ممروراً لأنهما يبدوان بصحبة الطفلة كعائلة . كان جسد راى نصف العارى لصيقا بها ، تستطيع الشعور بحرارته ، ورائحة بشرته ، تنهد « إنه جيل ، أليس كذلك » كانت نظراته حالمة « الحياة فى لندن ، تجعلك تحلمين بأيام كهذه ومناظر كهذه وأنت محظوظة لوجودك هنا يا جينى »

قالت ببرود « وأنت محظوظ جداً لمعايشة إثارة لندن ، من السهل إمتداح الريف لكن معايشته يوما بيوم فى جرانتلى شىء ممل فعلاً » .

وهوينزل لوسى الصغيرة « فيه مايعوض عن ذلك » وأسند الطفلة على صدره ، حتى الطفلة أحبته ، إلتفت إلى جينى على وشك الإبتسام « على أية حال ، أنت آخر من يشعر بالملل ، يا عزيزتى جينى ، عشية زواجك الرائع المثير من مايلز لانجتون المدهش »

« أهذا مجال مزاح ؟ »

وهو يربت على شعر لوسى « بل مأساوى فعلاً ، إنها مأساة لأن أراك تتخلين عمن تهتمين بهم » .

« أفترض أنك فعلت أشياء مدهشة فى حياتك ؟ »

« نحن نتحدث عنك ، ليس عنى »

« من أعطاك الحق لتتحدث عنى ؟ » وهى تنظر بتحدى فى وجهه ، الوجه الذى لم يفارق أحلامها ، بفمه الواسع ، المثير ، والشعر الأسود المتدلى على كتفيه ، والعيون الداكنة الزرقة .

« ربما لا شىء . لكن أتدركين معنى دوام خطوة الزواج ؟ من السهل أن تتخذيها ، لكن من الصعب الخروج منها . ومن المستحيل ، الخروج من الزواج بدون جروح وآلام » .

قالت بصوت حاد « لست طفلة يا راى ، أعرف بالتحديد ماذا جلبة الزواج »

« أتعرفين ؟ هذه الأيام نظراتك عمياء . كما لو كنت تريدين عدم رؤية ما يحدث » كانت لوسى قد نامت على صدره ، وهو يقبل جبينها « لم يفت أوان إلغاء كل شىء ، كما تعرفين »

« لمجرد أنك قلت هذا » بدأ الغضب يثور داخلها « يا لأعصابك يا راى ! »

نظر إليها نظرة كلها شوق « لا أصدق أنك تحبين هذا الرجل فعلا يا عزيزتى جينى » .

وهى ترمقه بنظرة حادة « لا تستطيع ، حسنا ، أنا أصدق ! »

« مستحيل ! »

« هذا يبدو لى غرور فارغ »

« ما دخل الغرور بزواجك ؟ »

« الكثير ، فلقد إعتدت على تعلقى بك ، لذا تشعر بجرح كرامتك الرجولية عندما تجدنى أهتم برجل آخر ! »

« حسنا ، هذا حقيقى أننى مغرم بك لأقصى حد » وابتسم « دائماً كنت مغرم بك ، لكن ليس هذا هو سبب قلقى عليك ، لو تأكدت من حبك لمايلز .. »

www.liilas.com

نهرته غاضبة «ماذا تعرف عن الحب، على أى حال؟ طالما أنك خبير فى العلاقات الإنسانية؟»

قال مترددا «آه؛ نسيت، لم يكن لى أبدا منزلاً ثابتاً، لذا أحسد كل الأزواج السعداء. فأنا سفيه مدمر، وأحب إثارة المتاعب للآخرين هل تذكرت كلامه بدقة؟» أخفضت جينى عيونها وتوردت وجنتاها، لكنه إستطرد برفق «لكل هذا، أنا أكبر منك، وإهتم بك من أعماق ـ فيما يخص السفيه المدمر صانع المتاعب، فلا أتحدث غيوراً يا جينى» ابتسم لها «أو أننى لست غيوراً أبداً» طوق وسطها بذراعه وجذبها ناحيته، وتراقص قلبها وهو يقول «يجب أن تسمعيننى»

إنسحبت بعيداً عنه بمرارة «وتريد أن أصدق أنك تحسنت؟ يجب أن أتصرف يا راى» ومدت يدها لتتناول لوسى.

«لماذا لا تتحدثين معى؟»

«لقد فات أوان الكلام، أنا أحب مايلز، وسأتزوجه، والآن حان موعد عشاء لوسى!»

«عمياء، عمياء تماماً» وهو يتنهد مرر إليها الطفلة الناعسة.

تناولت لوسى فى أحضانها ونظرت إليه نظرة أخيرة «قلت أنك لن تعترض طريقى يا راى وأنا لا أؤمن بالمصادفات طالما كنت طرفا فيها إبعد عن مستقبلى»

«تبدين رائعة الجمال وأنت غاضبة» وعيناه تمسحانها من القمة للقدم» وتبدين رائعة الجمال وهذه الطفلة الرقيقة فى أحضانك، هل أنت واثقة أنك لا تريدين الهرب معى إلى جزيرة فيجى»

«لا يمكنك الذهاب إليها بدراجتك» واستدارت منصرفة،

سارت بمحاذاة الشاطىء ثم إلى الطريق مازالت أعصابها متوترة بما قال لها. من الذى أعطاه حق معاملتها وكأنها ملك شخصى له؟

عند ناصية الطريق، إلتفتت لتنظر من فوق كتفيها، مازال راى واقفاً عند النهر، يشاهدها وهو ضاما ذراعيه على صدره، غاضبة إتجهت أمامها دونما إلتفات، وهى تتجه إلى منزل اليسون.

كان خطوبة مايلز مثل كل شىء يفعله. بطيئة، لكن واثقة وفى تمام الإهتمام بكل شىء فى الواقع، لإكتمال رعايته وإهتمامه بكل التفاصيل إندهش وفوجىء كل أصدقاءها عند إعلان الخطوبة رسميا، وكذلك أصدقائه.

وربما لهذا السبب ظلا مخطوبين طيلة عامين لقد كانت جينى محطاً لنظرات حاقة منذ إعلان الخطوبة، فالجميع كانوا يتشككون فى علاقتها براى سافاج، طبعا، لكنهم تقبلوا الأمر. فتاة مثلها فقيرة رقيقة وخطيبها متوسط العمر الثرى: لذا كانت الهوة وعدم التلاءم هى محط تفكير الجميع.

كان البعض خصوصاً النسوة من دائرة مايلز العمرية يلاحقنها بنظراتهن، تتعرض لتعليقاتهن السخيفة وأحياناً المؤذية ولكنها واجهتهن جميعا.

آخرون كانوا أكثر رصانة لم يعلقوا بحرف ولم يفعلوا شيئاً مباشراً، لكن غمزاتهم كانت تتغلغل أدبهم المبالغ فيه، وطريقة معاملتهم لها، وفى نظراتهم.

إحداهن كانت دودى وايتربيرن وهى تنعق ذات مرة «آه، المال سيغير حياتك» تعنى مال مايلز «أنا واثقة أنك فكرت فى هذا».

arabookstore.com

«ربما خطر ببالى»

«ليس المال تحديداً، طبعاً، سيصبح له مكانتك فى جرانتلى، والمكانة تعنى الكثير فى حياة المرء. وهذا مغزى الحكاية التى أرويها. هل أنت واثقة أنك لاتريدين شرب المزيد من الجن أو التونيك بالمناسبة يجب ألا تخجلى منا، كما تعرفين. نحن أصدقاء مايلز القدامى. إن لم تشعرى وكأنك فى منزلك معنا، إذن مع من ستشعرين بذلك؟»

وإبتسم فم دودى النحيف ولمعت عيناها الرمادية الشاحبة.

إبتسمت جينى «الجو شديد الحرارة على شرب الجن أو الكحول عموما، حار جداً».

إلتفتت دودى للرجال «جينا تقول أن الجو شديد الحرارة على شرب الخمور» وكأنها تسخر منها. كان مايلز وادوارد يجلسان منعزلين فى ركن ظليل أخضر. لم يقطعا همساتهم ليردا على تعليقها.

دعتها جينى «أكملى حكايتك، ماذا حدث بعد ذلك؟»

«حسنا، إنظرى، شابة تتحدث إنها السيدة إدوارد وايتر برن..

تحب دودى أن تطلق على نفسها السيدة إدوارد وايتربرن، فى حالة نسيان أحدهم أنها زوجة الرجل الثانى فى جرانتلى.

إدوارد وايتربرن الذى تحبه جينى أفضل من زوجته الشاحبة ذات العيون الباردة، فهو ظل لمايلز. فهو نائب رئيس نادى الروثارى، نائب السكرتير لنادى الجولف، ووكيل خزانة نادى المدينة، رجل مبهج، قنوع، من الصعب أن تكرهه، ويبدو أنه قانع جداً بأداء الدور الثانى بعد مايلز لانجتون بقية عمره.

ولهذا إلتزمت هى بمصاحبة دودى التى مازالت تحاول

الفاصل من أداء دور السيدة الثانية فى جرانتلى بينما شابة فى نصف عمرها وأرق منها تصبح هى السيدة الأولى.

قالت دودى «... كان صغيراً أيامك لكننى واثقة أنك تذكرينه» وهى تحرك الثلج فى كأسها وعلى طريقتها تنتقل من حكاية لأخرى دونما ملل «كان يمتلك المنزل الكبير على طريق الغابة، بسطحه المثلث».

قالت جينى معتذرة «لا، آسفة، لا أتذكره».

«ألا تذكرينه، بالتأكيد، لا، ذلك الرجل المحبوب، حسنا، لأرى، لقد توفى بعد بناء المستشفى الجديد.. بالضافتى! كنت طفلة وقتها. كيف تتذكرينه؟»

«نعم» ابتسمت جينى، كيف أتذكره؟»

«يالغبائى» ضحكت دودى، صوتها ممروراً مشبعاً بألم، ثم إلتفت للرجال «كنت أسأل جينى إن كانت تتذكر جيم وين وبث أصغر كانت طفلة عندما توفى..»

كانت جينى غارقة فى إرتياحها وبهجتها لأنها فى النهاية ركبت سيارة مايلز الجاجوار ولوحت لها مودعة.

ابتسم لها مايلز «كيف قضيت وقتك؟»

«بالكاد وكان مميتاً»

«هذا سيء»

تنهدت «كالعادة، لو كانت مقبولة ولا تبعث على الملل، ربما لايهمنى. دائماً تندهش وتتظاهر بالذهول لصغر سنى؟ وقلدت دودى «كانت مجرد طفلة عندما توفى «هكذا هى دائماً يامايلز»

«هذا لاضرر منه»

«آه، نعم، لكن ليس لديها الشجاعة لتعترف وتتقبل

www.liilas.com Behara

الفارق. وقضاء فترة العصارى معها مثل تعرض لهجوم سمك شرسة».

بدا مايلز مسروراً، للحظة، كان مايلز مرتديا جاكت رياضى، وقال «آسف لشعورك بالملل منها، لكنها من أفضل أصدقائى كما تعرفين»

«آه، يعجبنى إدوارد، وأظنه يرتاح لى لكن دودى لن تتقبلنى أبداً، أبداً، أبداً. ألا ترى عيونها عندما تنظر إلى؟ وتلك الضحكة! تبدو وكأنها تضحك من دمية، لا تفعلها إلا عندما أكون موجودة. تظن أننى أطمع فى أموالك، يا مايلز، ولن يتغير رأيها أبداً»

ركز مايلز إهتمامه بالبايب فى فمه قائلاً، ثم أمسك ليفحص ما بداخله. فهو ليس مدخنا لكنه إعتاد على تدخين البايب أحياناً، كطريقة لتأمل أفكاره. «هناك آخرون لهم نفس الرأى ومع ذلك لا يمكنك لومهم».

قالت جينى «هذا يجرحنى منها أكثر من أى أحد غيرها، ولماذا لا ألومهم على هذا الرأى القاس الظالم؟»

أجابها «لأنهم إناس واقعيون فقط، فى النهاية أتزوج فتاة جميلة صغيرة مجرد موظفة، وهذا يثير الأقاويل والزواج غير المتكافىء يعتمد دائماً على المال. عندما تصلين إلى عمرى، ستبدأين فهم جشع العالم الذى نعيشه. والطريقة الوحيدة لإثبات خطأ هؤلاء هو بقاءك سعيدة بزواجى بقية عمرك!»

إعتدلت فى مقعدها لتواجهه وهى مقطبة الجبين «ألا يضايقك أن الناس يظنوا أننى جشعة؟»

«لا أضعها فى مكانها».

«إذن لهذا الاحظ أنك تتسرع فى الدفاع عنى، هذا

يكشف السر»

«فعلا إعتبر كلامهم مديحاً»

«كيف يمكن أن يكون مدحاً؟»

«يظهر كيف يهتم الناس بى، وإهتمامهم بسعادتى ولا يريدون لى ارتكاب خطأ، وتشكلهم فيك مجرد حرص طبيعى لإناس كانوا أصدقائى لفترة طويلة جداً».

قالت جينى بجفاء «أفهم» هذا لطيف له لكنه ليس كذلك بالنسبة لها. لم أدرك أبداً أنك تعتبرها أنها بسبب شهرتك فى جرانتلى يا مايلز»

«ليس هذا ما قلته»

«من السهل أن تأخذها لصالحك» واصلت إعلان تبرمها وحرارتها «ليست موجهة ضدك كما حدث. مشاعرى تجاهك قوية جداً؛ ومخلصة ولم تتدخل النقود فيها، لذا يغضبنى كثيرا تفكير أصدقاؤك وأنك لا تبذل مجهوداً لمواجهتهم».

قال وشفتاه تلتفان حول البايب «أصدقائى كبار ومقدورهم تكوين رأيهم بأنفسهم، كما قلت بمقدورهم إظهار مدى خطأهم».

«ولأى مدى يستمر هذا؟»

«عشرون عاماً زوجة مخلصة بمرور الوقت لن أهتم، ونصفهم يكون قد رحل»

أطبق عليهم صمتا جامداً، لم تكن تلك ملاحظة ذكية أو دبلوماسية منها، إعترفت لنفسها بذلك، وقالت «آسفة، هذا أغبى شىء قلته»

«آه، إنسى، لا أنوى أن أعيش حتى عمر السادسة والستين» لم يبتسم واستطرد «لكن لا تنسى إننى إعتدت تحمل

anwar-kitab.com

بعض التعليقات السخيفة من أصدقاءك، لو تذكرين، كانوا يتشككون فى، وليس شيئاً مبهجاً أن أعامل كوحش عجوز».

قالت بلهجة تعاطف معه «نعم، أعرف، لكن لم نعد نراهم أبداً، لكن ستقابل أصدقاءك كثيراً، هذا يعنى الكثير لى لو تفكرت..»

لم يرد عليها، وبعد دقائق جلسا صامتين كانت جينى غارقة فى بؤسها.

وضع مايلز يده فوق يدها «كونى واقعية، لن يتوقف كلامهم، حتى بعد زواجنا. إنه دورك لتثبتى لهم أصالتك، وأنت حساسة جداً»

وهى تفكر ثانية فيما قاله راى «أتمنى أننى أستطيع لكن ماذا لو كانوا على حق فى النهاية؟»

«طبعا ليسوا على حق، أنت قلت ذلك توا أنت أبعد ما تكونى عن الجشع».

ليس هذا ما كانت تعنيه، ما كانت تقصده معقد جداً، لا تستطيع مواصلته الآن.

ما كانت تقصده هى دوافعها على الزواج منه ربما دوافع عملية؛ فى النهاية. ليست ثروته تحديدا لا، إنه راى الذى أقحم نفسه: ماذا تفعل بقية الفتيات لتأمين أنفسهم! كانت متعطشة للحماية للزواج المضمون. كانت دائماً هكذا. إنه دافع خطير للزواج مثل الطمع فى المال؟ فكرة الزواج من شخص لسبب غير الحب تترك أثرا مريرا فى الفم. أو تلك المثالية الحمقاء؟ لا تهم قالت فى سرها، فهى تحب مايلز لانجتون ولا تحب سواه. ومهما حدث فى زواجها ستكون مستعدة له. مايلز طيب، ممتاز، مسئول. يجب أن تثق به أكثر. هذا مفتاح

كل شىء.

قالت له «آسفة لإزعاجك بخصوص دودى، فهى ليست أبداً بهذا السوء، سأبذل جهداً أكثر المرة المقبلة، أعدك»

قال بلطف «هذا له معنى كبير عندى»

انهدت «أحبك» وهى تسند رأسها على كتفه «كم أنت تزور معى..»

«لا تكونى سخيفة، وأنا أحبك أيضاً، سأوصلك لشقتك»

ابتسمت له، دائماً ما تنتهى أيام السبت عند المتنزه الأخضر، عند منزله الضخم على شاطىء النهر، حيث يعيش مع أخته بيرنيكا.

هى أكبر منه بعدة سنوات، مدرسة رياضيات متقاعدة، وراثة وسيمة، خاب أملها فى الحب منذ سنوات، ولم تكرر المحاولة.

علاقتها بجينى على خير ما يرام، ربما لأن جينى لم تتحدى وضعها فى إدارة المنزل.

مايلز وثيق الارتباط بشقيقته أكثر من أى شخص آخر، ذكرها مايلز «لا تنسى أننا سنذهب لنادى المدينة ظهيرة الغد» وهى تهبط لدخول فناء المنزل حيث شقتها.

أومأت، وقبلته، مايلز يكره التغزل علنا، وقالت «آسفة على ازعاجك اليوم، ربما الحر هو السبب، فهو يثيرنى دائماً، سأكون أفضل غداً، أعدك»

«فقط كونى كما أنت دائماً»

المنزل الذى تسكنه فى وسط المدينة الصغيرة كان اسطبلات حولته شركة مقاولات منذ أعوام إلى ثلاثة بنايات تشترك فى فناء واحد. الذى زرعه الشباب بالزهور.

www.kitab.com

لكن ليس جمال الفناء هو الذى شل حركة جينى وهى تعبر المدخل بها رؤيتها الدراجة البخارية إلى بى إم دبليو الواقفة فى منتصف الفناء.

خفق قلبها وللحظة كانت مستعدة للعودة والهرب. لقد وعدها راى ألا يعترض طريقها اللعنة عليه!

ليس هناك أى علاقة على وجوده هو نفسه، لكن باب جيرانها كان مفتوحا مواربا وابتسمت، بلا شك هى مارجريت أيس المتشوقة لرؤية الرجال، ولا تخجل من ذلك، دعت راى لدخول شقتها، وهى الآن تتمتع بوقتها.

بتنهيدة غضب حدقت جينى أمامها وهى تنظر ناحية باب مارجريت. كان المشهد كما توقعته كالعادة، كان راى مرتديا خوذة حمراء هذه المرة وهما فى أعلى لحظات مرحهما، راى جالسا على مقعد عريض بينه كوب بيرة.

ومارجريت جالسة قبالته، تتحدث غير عابئة بارتفاع وتزحزح الجونلة لتكشف عن فخذيها.

عندما لمحت جينى صاحت مارجريت «آه، هاى كنت أسلى صديقك حتى تعودين، أين كنت يا جينى؟»

قالت جينى بجفاء «حيثما أكون أيام السبت تعرفين أننى أعود دائما متأخرة»

ضحكت مارجريت «آه، لقد نسيت تماما، المسكين راى إنتظرك طويلا طويلا، وكان سينتظرك لو لم تعودين. إذن ماذا حدث؟ أرجو ألا يكون حدث شجار مع العزيز مايلز؟»

«لا شىء من ذلك» وهى تنظر له بجفاء «سأعد القهوة، إلحقا بى»

«لا أدرى، المنظر هنا أجمل»

فهمت مارجريت، وتحركت لتكشف عن المزيد من مفاتنها، ظنت جينى أن هذا مستحيل ونهرت «فى هذه الحالة، سأتركك معها، طاب مساؤك»

إنتصب على قدميه «إنتظرى، لا تهربى يا جينى» أطبق يده على علبة البيرة وكأنها كوب ورقى وألقى بها فى سلة المهملات «شكرا على صحبتك يا مارجريت، يسعدنى لقاءك»

ابتسمت له مارجريت وهى تناوله الجاكت الجلدى، «كما لقاء فى أى وقت مرحبا بك»

وهو يطوق وسط جينى بذراعه وهما يتجهان لشقتها وقال «يا لها من فتاة لطيفة».

وهى تنهره «إبتعد عنى ماذا تفعل هنا؟»

«آه، كنت أمر من هنا»

«حسنا، المرة القادمة لا تمر عبر شقة مارجريت» مازالت نظراته متعلقة بمارجريت، ولو لم تعد جينى لكان استمتع بفتنة مارجريت الشقراء، هو بلا أخلاق، غير محترم، ولا مارجريت. تحاول التظاهر بعدم معرفة أين كانت جينى! لقد قبلها راى خلف أذنيها.

قال «من المفترض ألا تغارين على»

«لست غيورة، أحذرك لصالحك؟»

«شعرت بالأسى عليها، قالت أنها فقدت وظيفتها منذ شهرين»

«نعم، لا تنزعج كثيرا، ولا هى، مازال لديها الكثير لتنفق منه. إنها فتاة قبيحة، وأنت تعرف الإسم الدال عليها؟»

«أنت تفاجئينى»

«مارجريت السهلة»

arabic-books.com

«هذا ملائم لها فهى دافئة وحلوة»

«دافئة وحلوة مثل برميل العسل الأسود الذى يصطاد الفراشات، وأنت برىء!!»

قطب راى جبينه، كان حليق الذقن مهندم نظيف شعره الأسود يتدلى على كتفيه مثل أحد أمراء الهنود الحمر.

وهو يتطلع فى شقتها «حسنا، حسنا!! هل العزيز مايلز هو الذى وفر لك هذا العش المحبوب ويجعل شقة مارجريت كمخبأ؟»

قالت بخفة «مايلز لم يجهز لى الشقة، وهى ليست عش الحب، وأنت كنت مستمتع بالجلوس عند مارجريت تحتس بيرتها وتتطلع إلى جونلتها»

لمس كتفيها بيديه «أحبك عندما تغضبين» لمساته تثيرها دونا عن كل الرجال، جذبها ناحيته واحتضنها بذراعيه، شعرت بإلتصاقها به وقال «ماذا كنت تفعلين طيلة تلك الفترة مع حبيبك؟»

«كنا نزور بعض الأشخاص، الثقلاء إتركنى من فضلك»

«تقصدين أن هناك من هو أثقل من مايلز فى جرانتلى؟»

حذرته «لا تكمل كلامك» حاولت التملص منه لكن قبضته حديدية دافئة، ناعمة الملمس وهو يكتفى بالإبتسام، وهو يركز عيونه على فمها «نذهب لأى مكان؟»

«إلى المطبخ أنا جائعة»

«كذلك أنا» وقبل فمها، وتوقفت عن التملص منه، قلبها يخفق بعنف ورأسها تدور.

الفصل الرابع

الخيار الصعب

ما سر مشاعرها تجاه راى والتى تدفعها للميل نحوه عندما يقبلها، وتتعلق به هكذا وتتركه يقبلها هكذا، ويجعلها تتصهر مثل الزبدة تحت أشعة الشمس.

أهى طريقة احتضانه لها أم طريقة تقبيله لها، دائما يقبلها مايلز بشفاه باردة، بعناية وحرص. بينما يقبلها راى وكأنه لا يفكر فى شىء فى الكون إلا هى، وكأنها أهم وألذ واقع يجتاح وجوده.

إندفعت فجأة مبتعدة عنه وهو على وشك تقبيلها مرة أخرى، وأسرعت إلى المطبخ، وجاء راى خلفها، وقال «رائحتك جن وتونيك، خمر الطبقة العليا»

ردت متجاهلة نظراته «ورائحتك بيرة مارجريت، وفتحت الثلاجة لتخرج البيض وصندوق المشروم واللحم المجفف، لقد جعلتها قبلاته ممتلئة بمشاعر غريبة، مشوبة بالحلاوة والدفء، وحركت الدموع من كامنها على وشك التدفق «لماذا فعلت هذا يا راى؟ أظننى أوضحت كل شىء فى المطعم».

www.kitab.com

«أوضحت لمن منا؟ لك أم لى؟»

«لن أسمح لك بإفساد الأمور بينى وبين مايلز» قالت وهى تنظر إليه فى النهاية، عيناها غائمتان «ليس من حقك، ربما تعتبرها لعبة بجيئك هنا بعد عامين ثم تبدأ فى دفعى هكذا، لتفسد زواجى من مايلز، حسنا، ليست لعبة أبداً. إنها سفاهة وتدمير».

«أهى تبدو لك هكذا فعلا؟»

قالت بجفاء «لا تكن منافقاً، أنت لم تهتم بى أبداً، أنت تسعى خلف المتعة بإفساد شىء لم تحصل عليه».

سألها بلطف «أكان الأمر سيختلف لو أظهرت إهتماماً جدياً بك وتقدمت إليك؟»

ذكرته «أعرفك جيداً؛ لقد أهنت كرامتك وغرورك لأنك لم تجدنى فى إنتظارك وبدى على خدى، مثل فيدو المخلصة» لمعت عيناها البينة «تريد إثبات قوة جاذبيتك الرجولية بإبعادى عن مايلز، لمجرد إظهار مقدرتك والمشكلة أنك لن تجد نفعا لى بمجرد حصولك على!!»

«آه، بمقدورى التفكير فى شىء أو شيئين يصلحان لك»

لم تعر ما قاله إلتفاتاً وسألته «كم بيضة تكفيك؟»

وهو يتحرك مقتربا منها خلفها «كل البيض» ثم إحتضنها بين ذراعيه وهو يدفن رأسه فى شعرها وقال بنعومة «إننى أهتم بك كثيراً»

إحتجت «لن استطيع طهى الطعام وأنت تمسك بى هكذا» وهددته بالسكين.

قال لها: «دائما كنت فى ذهنى، وفعلا كنت أتمنى أن أجدك فى إنتظارى».

«كنت سأنتظر حتى يوم القيامة!»

«لا، لم تكونى ليطول بك الإنتظار، كنت مستعداً وقبلها لى فى جانب عنقها، ثم أطلقها وبدأ يفتح أدراج المطبخ «أين تخبئين أدوات المطبخ؟»

«هناك» وهى تنظر إليه من فوق كتفيها «أهذا ولا مرة طيلة ثمانية عشر شهر؟ ألانك كنت مهتم جدا بى؟ خدعة أخرى يا راى!!»

«كنت بعيداً لفترة طويلة، نعم، لكن هذا لا يعنى أننى لم أفكر فيك. كنت أفكر فيك طيلة الوقت» قالها ببساطة جعلتها تصدقه «كنت هناك فى عقلى، لم تفارقى خيالى، ولم أحاول إبعادك عن خاطرى. ولهذا جئت لأراك» جهز المائدة وهو يتحرك داخل الشقة وكأنها أصبحت أليفة له «ويقدر عدم رضاى أن تتزوجى مايلز لانجتون لكنها قضية منفصلة».

قالت متشككة «قضية منفصلة عن ماذا؟»

«منفصلة عن حقيقة كونك الفتاة الوحيدة التى رغبت فيها واشتهيتها»

توردت وجنتاها خجلا «أهذا بسبب أنك حصلت على ما تريده من الأخريات».

أومأ «ربما، لكن زواجك من مايلز لانجتون سيكون خطأ فظيع».

كانت هناك صورة لمايلز معلقة، إشترى مايلز إطارها الفضى بنفسه منذ شهور.

إلتقط راى الصورة الآن، وتفحصها «ليس كبيرا لدرجة أن يصبح والدك. شخصية باردة أنانية، رجل حسابات لن يعطيك معشار الحب الذى تحتاجينه»

حذرته بعنف «راى، توقف !!»

أعاد الصورة لموضعها، لكن وجهها للحائط «الآن، لم تتزوجين شاباً فعلاً بكامل صحته ليس ثريا لكنه عفى..»

رد ساخرة «مثلك ؟»

أومأ برأسه «مثلي، عندئذ سأكون الشخص الملائم الواقف على باب الكنيسة، أثر الأرز، لكن مايلز..»

«نعم مايلز» إتجهت لتعدل وضع الصورة «ما العيب فيه ؟ أنت لا تعرف عنه شيئاً».

«آه، أعرف عنه الكثير».

«آه، نعم ؟»

«آه، نعم» أمسك بالزجاجة «أيمكننى فتح زجاجة الخمر هذه ؟»

كانت جينى قد جهزت الطعام فى دقائق معدودة، وأعدت السلاطة والخبز، وجلسا لتناول طعامهم. حول مائدة صغيرة من خشب البلوط، وكل شىء فى الشقة طبيعى، جدران حجرية، وأخشاب نظيفة.

لقد أحدث حضور راى تغييرا ملحوظا فى الشقة فمن الغريب جلوسها لتناول الطعام معه. وتشاهده يضع طعاماً أعدته هى. يأكل بشهية بنفس طريقة قبلاته لها، بشهية وسعادة. يا ربى، كم كان سيختلف زواج راى، عن زواج مايلز !!

أتزوج راى ؟ جعلتها الفكرة تضحك بصوت عال، الأفضل أن تفكرى حالاً فى الزواج من ذئب. والآن تشاهدين كثير من صفات الذئب.

قال راى «لم تقولى لى كيف بدأ الأمر كله»

«تقصد أنا ومايلز»

«نعم، أريد أن أعرف»

«طبعا، حتى تستطيع العثور على المزيد من السخافات لتقولها».

وضع كفه على قلبه «ولو أقسمت ألا أنطق بحرف ؟»

نظرت إليه متشككة؛ لكنها بدأت «لا أدرى فعلا كيف بدأ الأمر.. كان صديقا للعائلة منذ زمن، لكن بدأت فعليا بمجرد إلتحاقى بالبنك طبعا. عندما بدأنا نرى بعض كثيراً. لكن منذ طفولتى، كان طيبا جداً. كان دائماً يجوارنا كما نعرف. وصية والدى كانت فى البنك وكان هو المدير التنفيذى. وقدم لنا الكثير طيلة تلك الفترة. أتذكر عندما مات والدى، مايلز هو الذى قام بكل ترتيبات الجنازة، وقدم لنا المال حتى يتم التصرف فى مزرعة والدى حتى بعد إنتهاء كل شىء، كان يجىء لزيارتنا من وقت لآخر، وكان مهتماً بى»

«أضمن ذلك»

«لم يكن هناك شيئاً من ذلك» توردت خدودها خجلاً «لقد كان عملاقاً قوياً، فى الغالب كان يشبه عمى حتى...

قال راى وهو يتطلع إليها «حتى كبرت، وعندئذ فجأة، وانته أفكار أخرى».

«أنت أحق !»

صحح لها «مباشر، متى إتخذ خطوته ؟»

«حسنا.. بدأ يأتى أكثر، بعد إنتهاء الدراسة أصبحت زياراته منتظمة، كل يوم جمعة، بدأ يحضر الزهور والشيكولاته لنا، فى البداية»

إعترفت «كنت أظنه معجب بأمى، فهى مازالت جميلة، كما تعرف».

www.liilas.com

قال رای ببرود «ربما يبدو هذا أكثر ملائمة له»

نظرت إليه محذرة «حسنا، كما ظهر بعد ذلك كان يحبنى»

«هل وافقت أمك على الخطوبة؟»

«طبعاً، كانت خطوبة رائعة لى!»

إبتسم رای وقال «خطوبة رائعة، فهو ثرى لديه المال، وأنت لديك الجمال. لذا سيركع يوما على ركبتيه لجمع هذا اللؤلؤ؟»

قالت «لا، جاء الأمر تدريجيا، مهما كان رأيك فيه، فهو رجل رقيق المشاعر، يحس بالآخرين لا يندفع ولا يدفع أحد. هو..» مرة ثانية تعود باحثة عن كلمة ملائمة لوصفه «كم هو طيب أنا لم أكن يتيمة ترفل فى الثراء يا رای، وهو يدفعنى دفعا لقبوله، بل تركنى لأتخذ قرارى. لم تكن مفاجئة عندما تقدم لى». وهى تنظر إليه فى تحدى «أعرف أنه يريدنى، وعندئذ أدركت كم أريده. كنا فى حب، وببساطة» أدركت أن خدودها إشتعلت متوردة، تلاعبت بكأسها، ونظرت فى طبقها، كان غريبا فهى لم تتحدث مع أحد غيره هكذا، حتى مع أمها «أنا أريده فهو يعنى كثيراً لى».

«كذلك الحياة التى يوفرها لك طبعاً»

«تتحدث مثل دودى وايتربرن، فهى لا تصدق أننى مخلصة، ولا تتوقف عن تذكرى بأننى ساكون أفضل كثيراً لمجرد كونى زوجة مايلز، وهذا يشعرنى بالبؤس. لكن رأى، هذا حقيقى! ساكون أفضل، أقصد، مايلز ثرى، وأنا لشىء لدى، لكن هذا ليس سبب زواجى منه!»

سألها بلطف «أليس فعلا؟»

«أنت فظيع! ما المفروض أن أفعله؟ أتزوج الرجل الذى

أحبه ولا أنتقل للعيش فى منزله، أم أستولى على نقوده..؟»

كان صوتها مشبعاً بالتعاسة؛ ونظرت إلى رای بعيون تلمع بالدموع «تظن أنه سعى خلفى من أجل الجنس، وأنا أسعى خلفه من أجل المال، كيف تستطيع التفكير بهذه الطريقة العظيمة عنى؟ وأنت تعرفنى أكثر؟»

«أريدك أن تجيبى فقط على شىء واحد، أكنت ستتزوجينه لو كان فقيراً؟»

«هذا سؤال ساذج! أمواله ومكانته جزء منه يا رای؛ فلقد حقق نجاحه بجهوده».

«ونصفها من ميراث والده» وتجاهلت جبنى تعليقه».

«لم يجدها على طبق من فضة، لقد إجتهد وعمل بكل طاقته ليحقق ما وصل إليه. وهذا جزء من إنجازه. لم يكن الصبح مايلز مالم يكن ناجحاً. لكن لأجيب على سؤالك.. نعم، كنت سأتزوجه لو كان نجاحه فى مجال آخر، غير المال».

تفحصها رای. كانت عيونه مفعمة بالإدراك بالفهم، لدرجة أنها أرادت أن تقذف بنفسها فى أحضانه وتبكى على كتفيه.

قال «لقد أدهشنى سماع أنك تعملين فى البنك لقد درست فى كلية الفنون لدراسة التصميم» ونظر إلى الصور المعلقة على الجدران كلها من رسمها «أنت موهوبة جداً، أحب لوحاتك، أما زلت ترسمين؟»

إعترفت «بالكاد الآن، كلها سخيفة»

«سخيفة!!»

«حسنا.. بالمقارنة بعملى فى البنك»

«ما الذى جعلك تقررين العمل فى البنك بدلاً من أكمال

الدراسة في كلية الفنون ؟ مايلز مرة ثانية ؟ »

صححت له « لقد قررت بنفسي ، لكنه نصحني طبعاً ، حدد لي المصاعب » .

هز رأسه « مصاعب ؟ »

« محاولة إقتحام عالم الفن ، يحتاج لكفاح نساق مرير طويل ، يكلف مالاً كثيراً ، ولا أملكه طبعاً لذا سألت نفسي إن كنت موهوبة فعلا ، وفي النهاية لقد كافحت أمي طويلاً بأقصى جهدها لتدخلني أفضل المدارس ، وسيكون فظيعا تضييع كل جهدها .. يا راى ، لن أقول كلمة أخرى لو واصلت النظر هكذا »

« هل قلت شيئاً ؟ فقط منبهر بعمل ساعي ونذير الشؤم .. إذن سجنك مايلز في جرانتلي ومنعك من الذهاب إلى الكلية ، ماذا إذن ؟ »

« حسنا ، البنك كان فكرة جذابة ، لقد عملت في عمل لفترة ، لكن لامستقبل لها . كانت فترة أجازة وقتها ، ومايلز جعل فكرة العمل في البنك متاحة حتى أتخذ قراري . لم يضغط ، مجرد معرفتي بوجود مرضة ، وعندئذ إتخذت قراري » رشفت بعض الخمر واستطردت « سأتزوج بعد اسبوعين يوم الأربعاء ٢٣ بالتحديد ، ستتاح لي فترة للتمتع بـ .. » كانت ستقول « بحريتي » لكنها غيرتها في آخر لحظة « فترة عزوبيتي »

كان راى ينهي آخر بيضة « ألا يروق لمايلز فكرة أن تعمل زوجته ؟ »

« ليس في البنك ، ربما يتحسن الجو ، وأعود بعد زواجنا بفترة ، لو سمح لي مايلز ، ربما بعد إنجاب طفلنا .. » توقفت عن إكمال الجملة « ممتع ، سأفتقد البنك ، كان غريباً في

البداية لكن بعد ذلك صار ممتعاً » .

بدا راى متشككاً في كلامها « تسلمين النقود طيلة اليوم ؟ »

« أمتع من إطعام الحمام وقيادة الجرار في نيوتن » .

« نعم ، طالما أنت مغرمة بالتصريح والغمز ، أنا لست طبوعاً ، أنا صانع مشاكل ، يلائمني فقط إطعام الحمام وحلب الأبقار » وهو يشير بإصبعه « بينما أنت ، أنت امرأة متميزة جداً ، موهوبة ، حساسة ذكية ، لقد صدمت بسماع أنك لم تمسكين الفرشاة منذ رحلت آخر مرة »

نظرت في عيونه الداكنة الزرقة الصافية « لقد تغيرت حياتي ، لقد تغيرت يا راى .

« لا » كان صوته هادئاً ، به تأكيد « لم تتغيرين كثيراً في جوهرك ، ياعزيزتي . لكن أظنك تحولت لإتجاه خاطيء ، سرت في طريق سيقودك للقاع ، للضلال والفشل » .

خلعت فيه ، شعرت بتجمد ما بي داخلها « راى ، من فضلك توقف »

إنتهى راى من شرب كأسه ، ووضعه بعنف ، ورفع حاجبه « فهمت أن مايلز منعك عن الرقص ، كأى شيء آخر ؟ »

« لا » إرتسمت إبتسامة شاحبة على شفتيها .

« أنا أحب الرقص »

« حسنا » وقف ، وإتجه إلى جهاز الستريو وإختار إسطوانة ناعمة بطيئة ، لموسيقى الجاز وأمسك بيدها « هيا نرقص » .

فجأة لم يعد هناك ماتريده سوى الرقص مع راى ، وقفت ، خلعت حذائها ، وارتمت في أحضانه وإحتضنها ، وهو يضع يده خلف ظهرها مشجعاً لها لتسند رأسها على صدره .

كانت تشعر بلمساته ، بدفء صدره ، مهما كان رأى ، فهو أجل رجل فى حياتها ، قوى البنية ، كان يجب ألا ترقص ، فلقد شعرت وكأنها ورقة شجر فى مهب الريح ، وسألها « أتذكرين ، تلك الليلة فى السيارة ؟ »

ضحكت بنعومة « وهل سأنساها أبداً »

يا ربى ، كنت محظوظ جداً ، اعدم ذهابك للسجن !! ولو لم يكن رجل البوليس صديقا لوالدى « تنهدت » ما الذى جعلك تفعل ذلك الشىء المجنون ؟ »

« نفس الدافع الذى دفعك للزواج من مايلز لانجتون ، لم يكن معى شىء ، لا أم ولا أب ، عندما رأيت السيارة خارج النادى ، عرفت أننى يجب أن أركبها ، ولو ليلة واحدة »

« كان عمرك عشرون عاماً ؟ »

« عشرون مزدحمة بخليط من كل شىء »

سألته « كيف كان شعورك ؟ »

« آه ، عندما أدرت المحرك ، عرفت أنها ليست الطريقة التى أحصل بها على ما أريد ، ولذا قررت إمتلاك واحدة ملكى أنا بشرف »

« لكن ؟ »

« لكن كان قد فات الأوان ، تعرفين ، أنا لا أجيد التراجع يا جينى ، لذا جئت أبحث عنك » .

كانت الذكرى حية وأغمضت هى عيونها ، لتراها بعيون عقلها . عندما وصل راى شارعها فى تلك السيارة الرياضية الحمراء ، ويفتح الباب لها ، كيف ركبت دون سؤال ، دون تردد .

كيف كان القمر يضىء السماء ، كيف سار عبر مراتع

خيالها ..

وهى تسأله « كيف رتبتا عدم إفساد أى شىء ؟ »

« مهارتى فى القيادة ، طبعاً »

بسطت أصابعها فوق صدره « ثم نفذ الوقود عند ناحية الحقل .. »

صحح لها « لا ، لقد قلت فقط لقد نفذ الوقود »

سألته « لماذا ؟ » وهى تنظر بعيونها الحالمة .

« لأننى كنت قد سأمت السياره لحظتها . قبل ان تنبه أنفها وابتسم « وقتها كانت هناك أشياء أهم فى ذهنى »

همست « راى » كان قد أطبق فمه على فمها برفق واستحواذ ، بنفس الطريقة التى فعلها فى الليلة المقمرة ، عندما كان عمرها ست عشر عاماً فقط .

كانت أجسادهما تستجيب للموسيقى ، لكن عندما تعمقت القبلات ، تصلبت الحركات مازالت ذراعاها حول عنقه ، وسرت نشوة القبلات عبر عروقها ، لتبعد مايلز دودى وايتربرن ، كل ما عداه ، كل المسئولية كل الشكوك .

تخللت أصابعها شعرها الكثيف الأسود ، وتهبط حتى عنقه ، فوق كتفيه ، ذراعيه ، حتى راحة كفه ، وكأنها تبحث عن شىء مفقود منذ زمن ، شىء ثمين رائع ، شىء ضاع من حياة جينى يوم رحل راى إلى لندن دونما نظرة للخلف ، طيلة خمس سنوات وهى تتذكر دون كلام ، دون تفكير ، أنها تبحث عن شيئاً بعد رحيله ، دون كلل أو راحة دون جدوى .

بعد ذلك ، ببطء وبلا حول ، توقفت عن البحث . حتى ظهر مايلز لانجتون وكبر وجوده فى حياتها ، لأنها فكرت أن راى لن يعود .

www.kitab.com Bahaa

رغم إغماضة العيون، فإن وجه راى يملأ عقلها، عيونه الداكنة الزرقة تتراقص فى تحدى ورغبة، إنه وجه راى، لا أحد سواه.

عندما إنتهت الاسطوانة، توقفت القبلات، وانفصلا فى صمت عميق، ومررت يداها المرتعشة فوق وجهها، كما لو كانت تزيل حلما لا تريد تذكره.

وقالت بصوت مرتعش «لكنك لم تحصل أبداً على سيارتك يا راى، مازلت تحلب البقر وتركب الدراجة البخارية»

تغير وجهه «أيهم هذا؟»

ابتعدت، وبدأت تنظف المائدة، ماذا فعلت؟ أهى مجنونة؟ كان يجب أن تسمح له بوضع مفتاحه فى قفلها، أن يلمس بأقدامه أعتاب بواباتها..

أوقفها راى، إنغرست أصابعه فى ذراعها «أيهم؟»

قالت: «لا يهم لو كسبت اليانصيب» لمعت عيونها بالدموع «شيئاً واحد تعلمته فى حياتى هى أن النهر لا يجرى أبداً للخلف» وهى تشير للسجادة حيث كان يتراقصان ويتبادلان القبلات «كل هذا ماضى.. مات، منسى، تلاشى ليس حاضراً الآن. ولن يعود».

«طبعاً لا، الآن، أنا وأنت نتحدث عن حياتك»

«لو كنت تظن أن من حقك تدبير حياتى فأنت مخطىء» وسحبت ذراعها من يده وتناولت الأطباق والسكاكين والملاعق والشوك المبعثرة على الأرضية «أنت لم تتغير يا راى، لكننى تغيرت! ولن أعود فتاة الست عشر ربيعا الحالمة الملائمة لك!»

أسرعت إلى المطبخ على وشك البكاء، ووضعت الأطباق فى الحوض، وهى تعلم أنه ورائها «لن تستطيع منعى من

الزواج من مايلز بقبلة ومحاضرة أنا أحبه، حتى لو كان ثريا ومتوسط العمر سأتزوجه!»

سألها ببساطة ونعومة «من قال أنك ستتزوجين أحد؟ مازلت صغيرة».

قالت وهى تغالب دموعها «أنا بحاجة للحب للأمان، أريد تكوين أسرة، لن أنتهى مثل جيسكا لانجتون، وحيدة عانس أعيش على عواطف الآخرين».

أبعدها ما عن الحوض «دعينى أفعل ذلك، لا أطيق عذاب رؤية إمرأة باكية أمام حوض الغسيل».

جلست خلفه، تحاول قهر دموعها التى تصر على التدفق ببطء وألم، تغرق خدودها قالت «يا ربى، كان يجب ألا أسمح لك بالدخول أنت تعرف كيف تثيرنى!»

قال مبتسماً «آه، حاولت، ألم أقل لك، أننى علقت صورك على جدران غرفتى بلندن»

نظرت إليه «كيف جرأت؟»

«إم» غسلت آخر طبق «عندما رحلت، أعطيتنى لوحتين من رسوماتك، أفضلها كانت مرسومة بالألوان المائية لمناظر حول جرانتلى وصورتين، أتتذكرينها؟»

«آه.. كانت فظيعة؟»

«بل ممتازة، لقد أعددت لها إطار»

قالت بتقزز «تبدو فظيعة بالمقارنة بصورة مادونا الملصوقة على الدراجة»

ضحك راى «لقد تحسن ذوقى، قلت لك أننى تحسنت، فى الحقيقة، أريد أن تجيئين لرؤيتها».

ساد صمت، وضحكت جينى «؟هل هذه دعوة؟»

وهو ينظر فى وجهها «نعم» وجدها توقفت عن البكاء، وقبلها بحرارة ومودة «سأجىء لك، ربما يعينك على معرفة ما تستطيعين عمله فعلا، تراجعين فكرك»

ضحكت ولمست القرط فى أذنه «هذا جديد»

«هدية من معجبة، لا يلائمنى»

«يجعلك تبدو كقرصان»«

«لكنه يلائم مايلز» ابتسم الإثنان من فكرة وجود قرط ذهبى فى إذن مايلز لانجتون، وقال راى «أنا مهتم بك يا جينى كثيرا»

ابتسمت «فى الغالب أصدقك» لماذا لا تصدقه؟ راى يهتم بها، أظهر كل الأدلة على اهتمامه، هو صانع مشاكل، لكنه كان دائما رقيقاً معها. ربما تعتقد أنه يفعل الشىء الصحيح بطلبه عدم زواجها من مايلز.

قالت بلطف «المشكلة أنك مخطىء، مخطىء فى أمور كثيرة، تفترض أننى أتزوج مايلز بسبب أمواله ومكانته هذا بعيد جداً عن الحقيقة. مشاعرى تجاه مايلز أصيلة. لا علاقة للثروة بها. دعنى أسألك. يا راى أكان يعنيك لو كان مايلز فقيراً؟»

«طبعاً»

«فعلا؟» وهى تبتسم ساخرة.

سألها «ماذا أضحكك؟»

«فكرة أنك غيور»

«غيور من مايلز؟»

«من ثروته، يمكنك التحول يا راى»

ضاقت عيون راى، ثم ضحك «لا أحسد مايلز على ثروته، أؤكد لك ذلك، يا عزيزتى، الشىء الوحيد الذى يثير غيرتى منه

هو فواه بك»

نظر فى ساعته وتنهد «جينى، آسف، يجب أن أنصرف الآن».

كرهت أن تترك وحدها الآن.. «أين تنام؟ فى مزرعة لا كون؟»

اومأ برأسه «هارى وفر لى غرفة ينام فيها ثلاثة منا، والإثنين الآخرين ينامون فى غرفة أخرى، لكنها توفر الإيجار».

«آه، يا راى» نظرت إلى الأريكة فى ركن غرفة معيشتها «يمكنك دائماً..» لكنه هز رأسه.

ابتسم «شكراً» وتناول الجاكت ووضعه فوق كتفه «ستندمين غداً، وعلى أية حال، الطريقة الوحيدة التى أتمنى قضاء الليلة بها هى فى سريرك» وتقدم ناحيتها ليقبلها بنهم شديد «أتمنى أن تبكى طول الليل أيتها الخشعة الخبيثة! هيا لأفسح لى الباب للخروج».

وهو يلبس خوذته فى الفناء تطلع إليها وسألها «أتقابلين أحد من الشلة القديمة، ساندرا كوبر والباقين».

هزت كتفيها «بالكاد.. لا منذ..»

أكمل لها جملتها الناقصة «منذ ارتباطك بمايلز، ألا يرتاح معهم؟»

«ليس تحديدا، ليسوا صغار جداً»

سألها «لم يتيحوا له أبداً أى فرصة، كما لا تتيح له أنت الفرصة».

قال بلطف «قطع علاقتك بكل من هم فى مثل عمرك خطوة سيئة، لن تجدين شيئاً مشتركاً مع أعضاء نادى الجولف وشلة اللاعبين، هل خرجت مع مايلز؟»

www.liilas.com

«طبعاً، ذهبنا إلى نادى المدينة مرتين إسبوعياً، ونقابل كثير من أصدقاءه»

«هل أخذك لمعارض الرسم؟ الرقص؟»

«مايلز يفضل مشاهدة الفيديو فى المنزل، بالنسبة للرقص «هزت كتفيها» مايلز وجيسكا من المغرمين بصالات الرقص، عندما أترك البنك سأتعلم..»

«أرى أن حياتك ستكون مليئة بالإثارة سأكون على إتصال بك، شكراً على العشاء».

ملأت قعقعات صوت محرك الدراجة الفناء.

وقفت جينى وحدها فى الظلام تستمع لصوت المحرك يقطع الصمت. لم يقل لها متى ستراه، إن كانت ستراه ثانية. آخر مرة رحل عن جرانتلى قال نفس العبارة العابرة سأراك مرة ثانية يا عزيزتى جينى.

همست بنعومة «راى لماذا رحلت؟»

استدارت لتدخل شقتها، عندما ملأ ضوء باب فتح عيونها، كانت مارجريت إيزى مستندة إلى الباب، آخر شىء كانت تتمناه مشاهدة مارجريت.

قالت مارجريت «هاى، تتناولين قهوة ونتبادل الحديث؟»

«كان بودى يامارجريت لكننى أفضل النوم، أنا مرهقة جداً».

قالت بتأكيد لا تخطئه إذن «أضمن ذلك، ذلك الرجل الذى كان عندك!»

قالت جينى «مجرد صديق قديم» ولم تزد حرفا أو تبدو متكلفة، لو ثرثرت مارجريت بكلمة واحدة ستثير المشاكل لها فى مدينة مثل جرانتلى. لكن لو طلبت منها عدم التحدث

بظهورها شاعرة بالذنب وغبية «كنا معا فى المدرسة، هذا كل ما فى الأمر».

«إسمه ريان، أليس كذلك؟»

«ريان سافاج، الجميع ينادونه راى»

«راى أحب ذلك، هو جميل جداً، لا شىء بينكما أكثر من الصداقة؟»

ردت جينى بحسم «لا شىء».

غطت وجه مارجريت ابتسامة مضيئة «هذا جميل إذن، بقدر ما أعرف، طابت ليلتك، أحلام سعيدة».

لوحت بيدها وأغلقت الباب، وإتجهت جينى إلى سريرها مباشرة.

www.liilas.com

الفصل الخامس

شلة الهوانس

وقع عليها كمفاجأة غير سارة عندما سمعت أن جيسكا لانجتون قد حددت يوما لـ «قهوة الصباح» فى المنزل، سألها مايلز فى البنك «لا يهمك أتعترضين؟»

«حسنا..» تجاهدت لتسوى بين الصراحة والأدب، فقد أيام رتبت مع مايلز لقضاء يوم الخميس مع أمها، لكن جيسكا قد دعت كل أصدقائها لمقابلة زوجة أخيها المقبلة قبل الزفاف، «.. لقد وعدت أمى بالذهاب إلى ويست شيستر معها، إلى السوق، ورتبت هى أيضاً لذلك»

قال مايلز «لكنك ستتركين العمل خلال إسبوعين، سيكون أمامك الكثير من الوقت لتقضيه مع أمك قبل الزفاف. ولقد وجهت جيسكا الدعوة فعلا للأصدقاء، بعضهم سيحضر من لندن، ورتبوا لذلك بالفعل وإلغاء الموعد الآن يظهر جيسكا حمقاء»

«كنت أتمنى أن تخبرنى قبل ذلك فقط»

«خلال أسابيع قليلة ياجينا ستصبحين منا، ولن تعودى جينا نورث كليف، ستكونى أحد أفراد عائلتنا، وجيسكا عضو

مهم فى العائلة. يجب أن تتقبلى ضرورة التضحية لرغباتها فى تلك المناسبات».

«حسنا، سأخبر أمى، من فضلك أشكر جيسكا وأبلغها أننى سأحضر يوم الخميس».

فى يوم الخميس الحار، الموحل، الرائع، كانت جينى جالسة فى غرفة الضيوف بالمنزل «الخميلة الخضراء» مرتدية أفضل بدلة رمادية لديها، وبيدها فنجان قهوة، بينما تفحصها عيون نسوة ثمانية.

قالت جين تود «لقد ارتفعت كثيراً، كثيراً، أحد أفضل الاستثمارات التى قمت بها، أتعرفون أننى استطعت شراء سيارة بالأرباح فقط».

جين تبدى ترددى ثيابا غالية جداً، عانس فى بداية الخمسينات، وكان موضوع الحديث، القضية الراهنة للأسهم التى إشترت عدة مئات منها، وهى واحد من أثرى السيدات، الوحيدات، وشعرت جينى أنها تحبها. لكن جين تبد تحبها أقل من الجميع.

إلتفتت إلى جينى الآن «ألم تكونى محظوظة ياعزيزتى بشراء بعض الأسهم؟».

قالت جينى «لا، لم أشترى»

وهى ترتشف قهوتها وتبتسم ابتسامة وضاءة قالت جين «حسنا، كانت شحيحة فى السوق، مع ذلك أظن أن مايلز بعلاقاته يمكنه تأمين شراء بعضها، يجب أن تسعى لذلك».

أجابت جينى بإبتسامة «أنا نادمة لعدم وجود المال الذى أدخل به سوق البورصة».

قالت جين تود وهى تضحك «آه، لا يحتاج المرء للنقود،

www.kitab.com Bella

ليست أموالاً حقيقية، عدة مئات من الجنيهات هى المطلوبة؛ أعتقد أن الجميع لديهم الكثير منها» وابتسمت فى إنتظار الرد.

كانت جينى حذرة مهمومة بنظرات العيون التى تحاصرها فى الغرفة، فهى تعرف بالتحديد ما تريد جين معرفته منها، ما يريدن جميعهن معرفته.

حاولت الحفاظ على ابتسامتها، وقالت بخفة «أنا واثقة أنها متعة عظيمة؛ لكن أخشى حتى أن عدة مئات من الجنيهات ليست فى متناولى».

أطبق الصمت على الجميع، ثم قطعته جين تبد بقولها «حسنا» بلهجة ناعمة راضية وهى تحدق فى الأخريات، لقد عرفوا مالم تقله جيسكا لهن، أنها لا مال لديها!!

قالت أخرى «حسنا، بمجرد زواجك لن يكون هذا المبلغ مشكلة».

لم يكن صباحا موفقا، بمفهوم جينى. لم تتحمل إحساس أن أخريات يقيمنها، ولذا توردت خدودها.

أيضا، أصبحت مهمومة بمشاعر مايلز وشقيقته حيالها. فحالتها اليوم لن يعينها أحد عليها فإما الغرق أو السباحة بنفسها للشاطىء، ورغم قدرتها على مواجهة التحدى، إلا أنها لم تستمتع بهذا الموقف.

على الجانب الآخر، كانت جيسكا لانجتون تستمتع؛ مازالت إمرأة وسيمة فى نهاية الأربعينات فهى، الأجمل وسط صديقاتها، تشبه شقيقها فى وسامة الملابس، وساقيها المقدودة كأنها منحوتة من مرمر، وهى الآن تضع واحدة فوق الأخرى، ربما تعتبرهما مصدر فخر كبير لها.

مدت جين تود يدها لتمسك بيد جين اليسرى وتفحصت

خاتم الخطوبة الماسى اللامع، «بالتأكيد أرى شيئاً يا جينى، لأرى آخر شىء فى الحياة، بمجرد أن تصبحين مدام مايلز لانجتون، أنا واثقة أنها ستأتى على استثمارات مايلز لتشترى كل شىء»

سألتها جينى بتقزز «هل سأفعل ذلك» وسحبت يدها. وكأنها تتأكد من خاتمها الماسى.

«آه نعم أنا واثقةمن ذلك» ردت جين بعيونها الخضراء الباردة «يبدو أن فتاة من النوع الذى يفهم قيمة الأشياء»

قالت جينى ببرود «أنا لست واثقة أن هذا مدحاً»

مازالت جين مبتسمة وترتشف قهوتها، وجينى متوترة من غمزها ولمزها، ها هى دودى وايتربرن أخرى، لكن هذه لها مالب، لماذا لاتقول جيسكا شيئاً؟ فالإهانة لمايلز العجوز الكئيب كما قالت مثلما هى لجينى. لكن جيسكا تشارك فى السلبية والمتعة، أو ترتفع عليها، وتبتسم فقط، وهبت من مقعدها قائلة:

«أنا واثقة أنكم تحبون المزيد من القهوة، سأطلب من السيدة جيننجر عمل قهوة. فى نفس الوقت، أيمكننا التجول فى الحديقة قبل أن تمطر؟ أنا فخورة بالزهور هذا العام».

كان هناك انبهار عام بالحديقة، الزهور تفرش «الخميلة الخضراء» هناك فعلا خميلة خضراء لا تسمح لأحد بوضع قدمه فوقها، لكن اليوم كما هو واضح إستثناء. والحفلة النسائية الصغيرة، والثرثرة والسيدات يمرحن فوق العشب الأخضر تحت أشعة الشمس. ظلت جينى مركزة نظراتها على الثمانى سيدات العوانس.

أحدهما قلبها طيب وتحدثت معها عن جمال الحياة فى مدينة

anan-kitab.com

صغيرة وقالت كم انبهرت بجرانتللى كانت جينى مبتسمة تستمع لها وفى نفس الوقت تلتقط ثرثرات باقى النسوة حيث يدور الحديث حولها.

كان الحديث عن الأسهم، المال، المدارس الخاصة، الأصدقاء الذين لم تسمع عنهم. وتساءلت ما الشيء المشترك بينى وبين هؤلاء النسوة الواثقات فى أنفسهن المتقدمات فى العمر العانسات الخبيثات؟ لا شيء تقريباً. لا يمكن أن تعتبرهم صديقاتها، حتى لو تقبلوها.

سمعت جيسكا تتحدث مع جين تود حول الزفاف.

«نعم سيكون حفل الاستقبال فى الخميلة البيضاء» كانت جيسكا تتحدث «يبدو من الغباء والسخافة إقامة الحفل فى أحد الفنادق المكلفة، بينما منزلنا هو أعظم مكان فى المدينة، لا، لن يقضوا شهر عسل بعد الزفاف، المسكين مايلز لا يستطيع أخذ أجازة، هذا العام مزدحم بأعماله».

قالت السيدة ذات الشعر الأحمر «لا شهر عسل إيه؟ أتخيل أن وقعه سيكون سيئاً».

ردت جيسكا ببساطة «سيأخذها مايلز إلى ديلز فى الخريف، لتعويضها».

قالت جين وهى ممن ستحضرن الزفاف «هذا يوفر علينا الوقوف ساعات»

ابتسمت جيسكا «جينا ستغير فستانها بمجرد عودتنا من الكنيسة، فستان لطيف لونه كريم شاحب هذه فكرتى ــ لا تقلقى، لن تقفى ساعات، لن تستغرق جينا وقتاً طويلاً لارتداء ملابسها».

قالت جين بمرح «وأتخيل ولا حتى لتخلعهم، المسكين مايلز

المجوز!» وسادت لحظة صمت، ثم ضحكت السيدات الثلاثة بخبث، وجاءت أخريات تشاركهن الضحك.

إشتعل وجه جينى بالأحمر القانى، كيف يتجرأن؟ وكيف شاركهن جيسكا المرح؟

لقد شعرت جينى بالحرج والإهانة، نعم هن صديقات جيسكا القديمات. لكن هى مدينة بالولاء لزوجة شقيقها أيضاً؟

للمرة الأولى، شعرت بشيء غير إحترام جيسكا لانجتون. هذا الصباح الرهيب وضعها وسط أمور لا تطيقها.

هل تستمتع جيسكا فعلا بذلك؟

نظرت إليهم، لا شيء مستحيل بالنسبة لجيسكا. فهى مسيطرة على أعصابها وعصبية. دائماً تستلطف جينى، ربما هناك حقد وغيرة تحت السطح الهادىء الناعم، وربما ظهر للضوء مع صديقاتها..

يا لها من فكرة قبيحة، تمنت جينى إن لم تشارك فيها أبداً.

أحضرت مديرة المنزل مدام جيننجز القهوة، وسألتهم إن كانوا سيشربونها فى الخارج؟

«لا أظن، يا مدام جيننجز، ربما لا تمطر لو دخلنا؛ لكنها ستمطر بالتأكيد لو بقينا فى الخارج يا سيدات؟»

دخل الجميع المنزل، وجينى تكز أسنانها كمداً وغيظاً؛ مستعدة لمواجهة ساعة ونصف أخرى من السخرية والتخابث. ستجلس، صامتة دون أى إشارة على شعورها بالجرح.

وضعت جيسكا ذراعها حول جينى دون أن تلاحظ تورد وجهها «تبدين رائعة الجمال هذا الصباح يا عزيزتى» وهى تدلك ظهرها، وكأنها لم تفعل شيئاً لإهانة جينى «أقصد أن أقول لك، أفكر فى الذهاب لعيادة ويلسون بعد الظهر لشراء

www.liilas.com

بعض الأعشاب، أتجيئين معي للمساعدة؟»

قالت جيني «لا، شكراً، أخشى أنني رتبت بعض الأمور للظهيرة».

نظرت جيسكا ببرود في عيون جيني اللامعة «ألديك مواعيد؟ آه، حسنا، لا يهم»

بمجرد دخولهم غرفة الضيوف تملصت جيني من ذراع جيسكا، التي لم يظهر على وجهها أي تأثر، لكن جين تود لم يفوتها شيء، وجاءت إليها وقالت «آه، نعم، أظنها مستقلة التفكير، إسمعي كلامي يا جيني بمجرد أن تصبح زوجة لمايلز، ستصنع لك حدوداً في المنزل!»

عندما كانت جيسكا توصل جيني بسيارتها لشقتها، كانت لامعة مرحة، لم تستطع أن تؤمن أن هذه هي جيسكا المرأة التي تضاحكت على النكات والغمزات التي كانت صديقاتها توجهها لجيني منذ ساعتين.

عندما وصلوا إلى شقة جيني سألتها جيسكا «ألن تغيري رأيك وتجيئين معي يا عزيزتي؟ يمكننا الذهاب بعد ذلك إلى المطعم لتناول الشاي بعد ذلك».

«لقد وعدت فعلا بالذهاب لمساعدة أمي» إعتذرت، وحتى لو لم تقدم عذراً فهي تشعر بالملل منها بعد ما جرى هذا الصباح، وليس لديها أعصاب لتحمل المزيد من المخاطرات.

إبتسمت جيسكا «حسنا، لقد كان جيلاً نجاح عظيم» وهي تقبل خدودها.

كانت تتحدث وكأنها تقصد فعلا ما تقول وحاولت جيني الإبتسام «شكراً يا جيسكا»

«سعادتي أن أراك مسرورة، أراك يوم السبت كالمعتاد؟»

«نعم يوم السبت كالمعتاد» وردت لها قبلتها».

يسعدني أنا أراك مسرورة؟ هل تحاول جيسكا أن تبدو مرحة؟ أو ليس لديها فكرة عن كآبة هذا الصباح بالنسبة لجيني؟

مازال الجو دافء رغم صوت الرعد، تنهدت جيني، يا له من صباح!! فهي لم تستظرف لا أصدقاء مايلز ولا صديقات جيسكا رغم عدم معاناة من هوة الفارق العمري. لكن لماذا يعاملها كثيرون من وسط مايلز بهذا البرود؟.

أجهدت نفسها بالتفكير فيما جرى هذا الصباح كان الجو مليئاً منذ البداية بالتوتر، والكمد. لكن ساءت الأمور بعد ذلك، لماذا؟ وكأن جيسكا نصبت نفسها حكما في مباراة الغمز واللمز بينما صديقاتها يهاجمن جيني.

نفس طريقة مايلز مع أصدقائه، عندما يدركون أنه لن يدافع عنها، يمرحون على هواهم لتجريحها.

دخلت جيني شقتها، وشعرت بالألم يجتاحها، آه، وهي تقول لنفسها غضباً هيا يا جيني، لا تكوني سريعة التألم هكذا، أنت لست بحاجة لدفاع أحد عنك، دافعي عن نفسك.

قالت: «اللعنة»

جاءت صوت من خلفها «آمين»

إلتفتت لترى الباب مفتوح، وراى واقف على أعتابه، وهو يبتسم لها بأسنانه اللامعة «أهانك أحدهم مؤخرا؟»

ضحكت «لقد أرعبتني، ولم يهني أحد مجرد أنني إنزلقت على السجادة».

كان واقفا بوسامته وقامته المديدة، ونظراته الضاحكة وكأنه لم يصدق روايتها عن السجادة. كان مرتديا الجينز وجاكت

arabic-kitab.com

جلدى .

ابتسم لها «حسنا ؟ أتسمحين لى بالدخول ؟

تنهدت «إدخل طبعا ، كيف عثرت على ؟»

قال «بالتخطيط والمصادفة» وأغلق الباب خلفه ، «مررت بالبنك ، أخبرونى أنه يوم راحتك جئت هنا ، وجدت الباب مغلق ، بعد ذلك وأنا على وشك الإنصراف رأيت جيسكا بسيارتها توصلك ، تتواصلين مع الشقيقة الكبرى لزوج المستقبل ؟»

قالت جينى «كانت تقيم حفل قهوة الصباح لى بالمنزل ، كنت أتمنى ألا تذهب للبنك يا راى»

«لا تقلقى ، كنت مرتديا هذه» وأراها النظارة السوداء .

لم تستطع منع ابتسامتها «آه ، هذه مفيدة»

استطرد هو «بالإضافة ، لم يرانى الأخ مايلز ، كان فى عشه الصغير»

«نعم ، لكن الفتيات سيتحدثن عنك»

«أحب أن يتحدثن عنى ، ألا يعجبك ؟» إتجه ناحيتها «يا ربى ، تبدين رائعة ! وكأنه حلم ، وهذا العطر» مد وجهه ووضع أنفه فى شعرها «رائحتك .. منعشة ، منذ متى وأنت تتعطرين هكذا ؟»

قالت بمرح «آه ، أنضج كل يوم»

رغم كل حلاوة صوتها كانت أعصابها متوترة مشدودة مثل أوتار الجيتار ، هو يطوق خصرها بذراعه ويجذبها ناحيته .

حذرته «راى ، لا ..»

«إذن من كان حاضرا حفلة القهوة ؟»

«لا أحد ، مجرد بعض صديقات جيسكا»

«اللعنة» وبلطف وحساسية وقبلها وقال بصوت مرتعش «لقد إفتقدتك ، هل إفتقدتنى ؟»

كان يجب ألا يسأل هذا السؤال ! وهزت رأسها «طبيعى لا» .

كانت عيونه الداكنة مبتسمة «كذابة !» وقبلها مرة أخرى ، بنهم وشوق زائد ، مما جعلها تنسحب بكل قوتها ، وقالت بلهجة آمرة «لا ، ليس هكذا ! وإلا سأطردك من شقتى الآن !» .

«آسف ، نسيت نفسى ، كنت أفكر فى خمسة أعوام مضت» .

«فعلا ؟»

«أو ربما بسبب العطر ، أو بسبب شفتاك الممتلئتان ، أو بسببك أنت ، عموما سأكون حذرا»

تنهدت جينى ، وبدأت ترتسم الابتسامة من جديد ، فلقد تلاشى توترها بعد رقة النسوة الخبيثات ، يعتبر حضور راى مثل الهدية .

قالت له «سأغير ملابسى ، الجو حار أيمكنك وضع غلاية القهوة ؟»

«أمرك» .

لمجرد رؤيته شعرت بالتحسن عشرات المرات إتجهت لغرفة نومها ، خلعت حذاءها ، وخلعت ملابسها ، التى لا ترتاح فيها . وهى تنظر لنفسها فى المرآة ، كان وجهها شاحبا ، لكن خدودها تزينها ورود ، ربما بتأثير قبلات راى . .

وهى تفتح الدولاب لتعلق بدلتها ، تحيرت لماذا ترتاح لصحبة راى ، وتبتسم أغلقت الدولاب ، وخلعت البلوزة ، وظلت

www.liilas.com Bahaa

بملابسها الداخلية، ووقفت أمام المرآة تخلع بنسات شعرها.

وتساءلت ماذا ترتدى؟ راى يعجبه الفستان القطنى ولكن ليس لديها، لقد تغيرت طريقة ملابسها منذ دخل مايلز حياتها وارتدت بنطلون جينز وتى شيرت، وقلبها يرتجف رغم محاولة إظهار ثباتها، وساعد الهواء المنعش على ترطيب جسدها، وهى تتطلع فى المرآة، سمعت باب غرفتها بنفتح تجمد قلبها، وجدت راى واقفا، تجمدت مكانها عندما إلتقت عيونهما، كان يشاهدها والعاطفة تلف ملامح وجهه وقال بلطف «أنت أجل مما أتذكر» وهو يكاد يلتهمها بعيونه» قوامك رائع، أروع ما رأيت يا عزيزتى جينى».

قالت: «المفروض أنك تعد القهوة» كان صوتها مرتعشا.

إبتسم: «مللت الإنتظار حتى تغلى الغلاية». كانت عيونه مركزة على ساقيها، ولم يكن صعبا تخمين ما يفكر فيه، وقالت له «ألم يقل لك أحد أن من غير الأدب دخول غرفة نوم سيدة؟»

ابتسم «لست مهذباً، وأنت لست سيدة، إنت جينى الصغيرة، الفتاة الوحيدة التى أحببتها» إلتقت العيون ورغم لهجته الساخرة كان فى نظراته شيئاً جعل جسدها يرتجف «لكن أنت الآن جينى العظيمة، يا ربى، أنت جميلة جداً، جميلة وجذابة وحلاوتك أحلى من العسل المصفى» أتعجب إن كان مايلز الأحق يستحقك؟»

قالت بلهجة آمرة «توقف عن التحديق فى هكذا!! ولا تتكلم عن مايلز هكذا».

«إنسيه، أنت شاحبة يا جينى، كانت بشرتك دائما بنية، ألا تعرضين نفسك للشمس؟»

قالت «هذه إنجلترا لاتنسى، وأنا أعمل فى البنك، وليس فى الحقول مثلك».

أمال رأسه جانبا «ربما، أفضلك هكذا، تبدو بشرتك مثل الكريمة».

قالت بنفاذ صبر «لن أقف هكذا حتى تتطلع فى»

«وهو كذلك، هيا نحب»

صاحت «ماذا؟»

إتجه راى ناحيتها، كانت عيونه غائمة بالرغبة الجارفة «لنمارس الحب، هنا الآن، كلا يرغب فى ذلك، أنت وأنا، لماذا نكذب على أنفسنا؟»

قالت بصوت مهزوز «راى! لا لن...»

كان مبتسماً «لا، ماذا؟» كانت عيونه تقدح بالرغبة.

إبتعدت عنه، وقلبها يرعد داخل صدرها، وتراجعت حتى جلست على سريرها بينما، واصل هو تقدمه، وجلس بجوارها.

حاولت أن تهرب، لكن بلا جدوى، ولم يعد بمقدورها مقاومته، واشتعلت كل أعصابها وسرت نيران فى جسدها، ودوى رعد فى أذنها وماجت رأسها بأحاسيس شتى، وكلما إندلعت جذوة نيران الرغبة، كلما غابت صورة مايلز عن خيالها، وتحررت من مشاعر الذنب حياله، ولم تعد تشعر سوى بلحظتها، ومدى شوقها لراى، ليس كمشاعر تلميذة المدارس بل بكل شوق الأنثى ورغبتها، الرغبة مثل النار الجامحة، ولكن فجأة تعرت وكأنها على حافة الهاوية، وكأنها تستمتع بسعادة مسروقة، ربما تتغير حياتها للأبد. لن تتزوج مايلز، لو تمادى الأمر أكثر من ذلك، يجب أن توقفه، وشعرت بتصلب كل جسدها فى رد فعل قوى، ولم تشعر إلا به يتركها والدماء على

شفتيه وهو يتأوه من الألم، حدقت فيه مذهولة، وهو يقول لها «أيتها الشرسة الصغيرة».

كانت شفته السفلى مجروحة جرحاً دائريا، تنزف دما، وأدركت وهي غير مصدقة أنها عضت شفته بعنف زائد.

قالت بتعبير مأساوي «آه، يا راي، يا ربي لم أقصد..»

لكنه كشر لها «تتحدثين عن الحب بلا حدود! كيف تعلمت هذه الألاعيب والحيل؟»

«لا أدري.. لقد تصلبت عضلاتي فجأة».

وهو يتقدم ناحيتها مرة ثانية «قلت لي!» كان غير عابئ بشفته التي تنزف، وأدركت أنها فرصتها الأخيرة للخلاص قبل أن يؤذيها.

طوحت نفسها من فوق السرير، وأمسكت بالدولاب، وارتدت قميصاً قطنياً، وغطت جسدها، وبدأت ترتدي باقي الملابس، كان راي مستلقياً في السرير يشاهدها مستمتعاً، مبتسماً وقال بنعومة «تهربين!!»

قالت «آسفة لجرح شفتك، لا أدري كيف حدث مني..؟»

«إنسي، استحق ذلك، لا أحب أن أكرر ما أقوله، لكنك جميلة جداً يا عزيزتي»

قالت «وأنت لست سيئاً في ذاتك» وأكملت ارتداء ملابسها، والتفتت إليه «لكن ما فعلته وأردته محرم يا راي، أعني، لن أسمح لك ثانية بالإقتراب مني، ممنوع!!»

ضحك «رغم ذلك رائع.. هل يقبلك مايلز لانجتون كما أقبلك أنا يا جيني؟»

نظرت إليه صامتة كما لو أنه نطق إسم مايلز بلغة أجنبية.

مستحيل أن تتخيل مايلز مستلقيا هكذا، ينظر إليها مبتسماً.

مستحيل تخيل مايلز يقبلها أو يلمسها مثله، بتلك الثقة.

راي مختلف، رجل بكل معنى الكلمة، قالت تهربا «ربما يريد القهوة»

قال «أعرف ذلك»

نظرت إلى شفتيه وقالت «هذا فظيع، سأحضر لاصق بلاستر لها»

مبتسماً «لا، سأجيب على بعض الأسئلة المخجلة من زملائي في المزرعة، حول كيف حدث هذا!» طوق خصرها بذراعه «لا تقلقي هذه صداقة، هيا نشرب القهوة».

جلسوا في المطبخ، يتحدثون بإسترخاء وشعروا بتلاشي التوتر. وتعجبت جيني إن كان راي يعرف وهما يتحدثان بهدوء ويشربون القهوة ويتذكرون أيامهم الخوالي، هل يعرف أن جسدها مازال يشتاق إليه.

لكنها لا تريد التفكير في ذلك، وأبعدت أفكارها، الأفضل التظاهر بأن مثل تلك الأمور لن تحدث، وأن تعامل راي كصديق قديم فقط.

دائماً كانت بينهم مودة، وتفاهم وكانت مسرورة بصحبته دائماً.

لو كان راي المسكين يعرف فقط كيف إفتقدت صحبة شبابها!! فهي تريد التحدث في أمور تخص جيلها.

بمقدور مايلز توفير الأمان الذي يعجز عن توفيره راي، لكن كم ستدفع مقابل هذا الأمان!!

تشعر بميزة وجود راي معها، يملأ الشقة الصغيرة بحضوره الرجولي، وجماله وعافيته. لديه جاذبية يفتقدها مايلز، راي

www.liilas.com

رجل يستمتع بالحياة حتى آخر رشفة. عندما يقبلها ينسى العالم، ولا يعد فى ذهنه وحياته إلا هى.

راى فقط بمقدوره اسعادك وكأنك المرأة الوحيدة فى العالم، لكن بعد إنصرافه بخمس دقائق ينساك تماماً!!

بعيداً عنه تفكر فى الأمور على وجهها الصحيح مرة أخرى، تستعيد رجاحة عقلها وتساءلت كم عدد الفتيات التى أخطأن تفسير رغبته على أنها حب عميق؟ يالها من خطأ. هو أكثر رجل جذاب رأته فى حياتها، لكنه يعجز تماماً عن توفير الأمان الذى تطلبه.

مع راى تتذكر دائماً الفترة الحالكة السواد فى حياتها، فترة الوحدة وعدم الأمان، تتوقع الحداة التى تسرق السعادة لكن فى صحبة مايلز لا يخطر ببالها أبدا ذلك الشعور المخيف. مايلز ليس له عافية وحيوية وطاقة راى، لكنه يبسط مظلة الهدوء والأمان فوقها، سلطته، ثروته، وحقيقة كونه أكبر منها تجعلها تشعر بالأمان، وعدم الخوف من إلحاق أى أذى بها.

إنتهت ظهيرة اليوم بهدوء وهدوء. لم يعد هناك مايقال، وصدمت عندما نظرت إلى ساعة المطبخ، صاحت اللعنة! كان يجب أن أكون عند أمى منذ ثلاث ساعات مضت.

ابتسم راى «لا تقلقى، سأوصلك»

«بالدراجة؟ لا، شكراً! لا أريد أن أجعل كل المدينة تتحدث عنى»

«الدراجة مازالت فى الجراج، معى سيارة»

ابتسمت «هذا تغيير، رغم عدم تصديقى أنك تركب سيارة، أنها أكثر تحضراً لا تلائم ذوقك البدائى!»

«إنتظرى حتى تشاهدى السيارة».

سألها «جاهزة؟»

قالت «سأحضر حقيبتى».

بعد خمس دقائق كانوا فى الشارع، وهو يحيطها بذراعه، وكانت هى مهمومة من نظرات النسوة التى تطاردها، ويتساءلون عن سر وجودها معه، مع ذلك شعر بالفخر لوجوده بجوارها، على الأقل فهى موضع حسد النسوة، حتى العجائز منهن.

عندما وصلوا إلى السيارة، إتسعت عيونها فى دهشة «آه، لا، راى.. لا»

سألها «لا، ماذا؟»

حدقت فى السيارة الفيرارى الحمراء اللامعة تحت الشمس، وقالت «لم تستعرها؟»

ضحك بسعادة خالصة «لا، ليس بالمعنى الذى تقصدين، لقد كبرت على ذلك، لكننى أقودها لصالح شخص آخر».

نظرت إليه متشككة، ولم تركب «لحساب من؟»

هز رأسه ساخراً «إنها سيارة كيت لاكون ابن لاكون الأكبر، طلب منى توصيلها للجراج هنا لتركيب إطارات جديدة لها» أشار للإطارات الجديدة «إنظرى لتصدقى».

أخيراً، إقتنعت وركبت السيارة بجواره، بينما أغلق زجاج النوافذ المعتم.

قالت له «ستحطم قلوبا كثيرة هكذا!!»

وهو يدير المحرك قالت مستطردة «هذه السيارة تلائمك، لو كان لك وظيفة حقيقية ملائمة يمكنك توفير ثمنها».

ابتسم لها «قضاء ساعة بجوارك أغلى من امتلاك سيارة فيرارى!!»

«لطيف منك هذا الإدعاء لكننى أعرف كم أنا عادية».

«يعنى؟»

«لو سمحت لك بممارسة الحب معى، فى الشقة، ربما لفقدت اهتمامك بى تماماً بالنسبة لك، أنا مجرد الفتاة التى هربت منك ولم تعد بمتناولك هذا كل مافى الأمر»

لم يجب راى.

بينما جالت فى خواطرها وهى تقول فى سرها، لكنك تعنى الكثير لى ياعزيزى راى، ويغمرها شعور بالأسى. لقد إستمتعت بوقتها معه ولن تنساها. جعلها تشعر بشبابها وتستعيد مرحها، مشاعر نسيتها منذ زمن.

لكن ركوبها معه فى مثل هذه السيارة الفخمة شىء محزن، هذا يذكرها بالحياة التى كان بإمكان راى تحقيقها لنفسه لو أدرك حقيقة إمكاناته هل سيقضى بقية عمره كسائق، يقود سيارات الآخرين؟

راى لا يفهم أن مايلز قد حقق الكثير بإمتلاك منازل، سيارات لنشات، بإمكانه توفير الأمان لها.

لو هناك من يستطيع إنتشال راى من حياته العابثة التى إختارها، ويساعده لتحقيق أهدافه..

لقد ظننت فى السابق أنها هى هذا الشخص الذى ينتشله ويساعده، لكن لم يحدث هذا. لقد أدار راى ظهره للمدينة وها، وإنطلق على هواه. ولم يعد بمقدور أحد فعل أى شىء له.

فكرت جينى حزينة مفترض أن أتزوج رجل آخر خلال أسابيع قليلة، لكن لا أدرى كيف سأتحمل فقدانك يا راى.

الفصل السادس

الكابوس

لم تحضر أمها حتى الخامسة والنصف، لذا ذهبت جينى وجيسكا لعمل البروفة الأولى لفستان الزفاف، مساء الثلاثاء.

لقد أوضح مايلز أنه سيتحمل ثمن الفستان، كمثال آخر على طيبته. إنه فستان ثمين كما ذكرت جيسكا، لكن السيدة ستكون حائكة ماهرة تصنع فساتين زفاف منذ جيلين فى المدينة، والتصميم الذى ستفصل به فستان جينى سيكون رائعاً حقاً.

قالت جيسكا منتقدة «رغم أننى شخصيا كنت سأختار زهور صناعية بدلا من الطبيعية» كانت جيسكا جالسة واضعة ساقيها فوق بعضهما تلاشى البرود الذى أظهرت تجاه جينى فى تلك الحفلة الصباحية، وتظهر لها الآن كل مودتها «لسبب واحد، دائماً تحدث كوارث مع الزهور الطبيعية ولسبب آخر، دائماً تحتفظين بالزهور الصناعية لكن الطبيعة ستذبل وتتخلصين منها»

www.liilas.com Rehana

إعترفت جينى «لا أرتاح للزهور الصناعية» خجلت من الافصاح لجيسكا أنها ذكرى طفولية من رؤية زهور صناعية على كفن أبيها، وتابوته حيث وضعت زهور بيضاء على صدره، وحزن ذلك اليوم استمر معها، وجعل الزهور الصناعية نذير حزن وكآبة. لذا قررت إختيار الزهور الطبيعية.

قالت الحائكة «الزهور الطبيعية لطيفة دائماً وتلائم زفاف لطيف».

فى الواقع، كانوا يستخدمون الورق لعمل التصميم الأولى للفستان، قامت مدام بيستون وقالت «إلقى نظرة يا عزيزتى».

نظرت جينى فى المرآة الطولية، كان تصميم الفستان رائع وقالت «إنه مدهش يا مدام».

قالت جيسكا ببطء «نعم، إنه جميل فعلا!!»

وهى تنظر لصورتها فى المرآة كان قلبها يموج بشعور غريب، لم تشعر بواقعية زواجها إلا الآن، وهى ترتدى الفستان الأبيض المقدس، والقناع ستتزوج ستترك منزلها، إسمها، وحريتها خلفها للأبد.

ذكرى أحضان راى ظهيرة الثلاثاء طغت على تفكيرها، كرعد خاطف، ونظرت مطأطأة الرأس شاعرة بالذنب.

قالت السيدة بيستون «هناك، ليباركنى الرب إن لم يكن طفلك متورداً كزهرة!»

رتبت جيسكا على كتفها «ليس هذا وقت التواضع يا جينا، لا تخجلى، إنظرى إلى نفسك»

هزت رأسها، لم يفهم أحد منهما عواطفها هى غارقة فى ذكرى صحبة راى معها.. كانت على وشك البكاء.

فكرة بأسى، آه يا جينى، ما هى حقيقتك؟ فستان الزفاف

الأبيض؟ أم قبلات صديق الطفولة؟ هى لا تستحق إرتداء هذا الفستان بمرارة، وشعور بالعار والخجل، والعجز عن النظر لنفسها أكثر من ذلك، ابتعدت جينى عن المرآة.

توسلت إليها «إخلعيه عنى!!»

ضحكت جيسكا «لا تكونى مغفلة!» وأدارت ظهر جينى للمرآة بيد قوية «ولا تجرأين على البكاء أنت رائعة، مايلز سيطير عقله، ماذا تظنين نفسك؟»

جبرة على مواجهة المرآة مرة أخرى، اختلطت ملامح التعاسة على وجهها باللون الأبيض لفستان الزفاف، وبدأت تزيل هذا الشعور المرير بكل جهدها، إبتسمت، وتناولت الباقة لتضعها فوق صدرها الأيسر كما مرر لها أثناء مراسم الزفاف.

همست السيدة بيستون «جميل جداً»

طوحت جينى رأسها للخلف قليلاً، ونظرت للمرآة ورأت صورتها، نعم هى جميلة، سيكون زفاف جميل، للسيد والسيدة مايلز لانجتون، ستدق الأجراس فرحاً، وهى تخرج من الكنيسة متأبطة ذراع زوجها، وتترك كل الماضى خلفها، لصالحها

عندما تفكر فى ذلك، يحدث شىء داخلها، لحظة وعى بالفرار.

تعرف ما تريد، هى لا تريد المتعة والإثارة الخطيرة التى يثيرها راى، بل تريد زواجا مستقراً ذا قيمة أبدية مع مايلز.

فكرت مرة أخرى فى تلك القبلة الحارقة المسروقة، لكن دونما خجل هذه المرة، لن تحدث ثانية، أبداً، أبداً. لن تسمح له، لن تسمح لراى، بالإقتراب منها. ستتجنب مجرد رؤيته من الآن حتى يوم الزفاف، وهكذا تصبح فى آمان.

لم تمر بها مثل تلك الأيام الباشة الماضية. لقد تركتها زيارة راى فى ألم مستمر، تطاردها أحلام مرعبة؛ عاجزة عن النظر فى وجه مايلز.

كان يجب أن تواجه نفسها، الآن، وتسيطر على مشاعرها، يجب أن ترى الأمور بوضوح، بوضوح مثل نصاعة هذا الفستان.

نعم، راى جذاب، كانت دائما تعشقه كفتاة مراهقة، ومازال لديه القدرة على إخضاعها لجاذبيته، فهو يعنى الكثير لها. لكن يجب أن تواجه حقيقة أنه ليس زوجها.

نعم، لقد جربت الشكوك فى زواجها من مايلز، الشكوك طبيعية ومشروعة، صحية ربما جوهرية، للتدقيق فى قرارها. ربما راى يفعل راى معروفا بمساعدتها على التفكير.

حتى تتأكد من صدق مشاعرها ورغباتها الحقيقية، وتستخلص أفضل مايلائم حياتها لن يستطيع أحد مساعدتها، خصوصاً شخص مستهتر غير مسؤول مثل ريان سافاج، وفى هذه اللحظة، تعرف أن زواجها من مايلز لانجتون هو ما تريده.

ليست مشاعر خيالية حالمة، وليست مثل مشاعرها حيال ريان سافاج، فهناك أنواع عديدة من الحب، والحب الذى تشعر به تجاه مايلز حب قائم على الثقة، الإحترام، والمودة، والأمان. وليس لديها أدنى شك فى مشاعرها نحوها وتعرف أنه سيسعدها. سيوفر لها منزل مستقر، حياة آمنة، زواجها سيحميها من العزلة والحاجة.

لقد جرحتها تلك الأقاويل عن تفسير زواجها من مايلز بسبب المال فقط، ومكانته الإجتماعية، ولكنها لم تعد تخجل من ذلك، فلقد قالتها لراى، ثروة مايلز ومكانته ثمرة كفاحه. لذا يجب أن تتقبل هذا كجزء منه، عامل جوهرى فى شخصية

زوجها المستقبلى.

اللعنة على راى والشكوك التى غرسها فى نفسها!! لقد قضت وقتا طويلاً لنزعها وهى تعلم أن الجرح لن يندمل سريعا. ما يريده راى هو أن يحيلها حياتها بؤساً؟ كما لو كان له سلطة عليها! كما لو كان قد حقق شيئاً فى حياته! إنه مجرم مشرد. فاشل يجىء للريف فى الصيف ليعمل فى المزارع ويعلم ببراءته المفقودة. هو حيوان جميل، حيوان مثير جنسياً. لكنه لن يكون زوجا محترما لأى إمرأة. مقارنته بمايلز شىء مثير للضحك.

أخرجتها جيسكا من خواطرها وقالت وهى تشير للفستان «هذا أفضل»

سألتها «أيعجبك يا جيسكا؟»

«طبعاً»

سمعت صوتا قادما من الباب «هل تسمحون لى بالدخول؟»

«ماما» استدارت جينى بسعادة لتواجه أمها «ما رأيك؟»

برودينك نورث كليف مبتسمة تحيى جيسكا والسيدة بيستون، مازالت مرتدية ملابس عملها فى مركز الحدائق خارج القرية، لكنها شابة منتعشة.

نظرت إلى جينى «جميل يا حلوة تبدين سعيدة جداً، جميل جداً يا سيدة بيستون، يذكرنى بفستان زفافى»

أومأت السيدة بيستون «تقريبا، أنتما متشابهتان فى كل شىء»

قالت جيسكا «كنت قلقة قليلاً من إختيار جينى للزهور الطبيعية»

www.liilas.com

أنصتت أمها باهتمام، جيسكا أكبر منها، وشخصيتها مختلفة، والعلاقة بينهما متحفظة يغلفها الاحترام أكثر من المودة.

قالت أمها فى النهاية «جينى تكره الزهور الصناعية، هذا منذ طفولتها، تفزعها».

هزت جيسكا كتفيها «نعم، لكنها الآن امرأة ناضجة، الزهور الصناعية ملائمة أكثر..»

«أظن الزهور الطبيعية تلائم جينى أكثر، فهو خيارها، أليس كذلك؟»

امتنعت جيسكا عن التطويل فى المناقشة.

إنتهت بقية البروفة دون نقاش.

قالت السيدة بيستون «قبل البدء فى حياكة الفستان، هل لديكم أى اقتراح، أى تغيير؟»

قالت جينى بحسم «لا، إنها فى غاية الإكتمال كذلك، لا أريد أى تغيير».

* * *

كالمعتاد فى ليالى الأربعاء، كانت جينى فى نادى المدينة بصحبة مايلز وشقيقته لتناول العشاء. رغم توجيه الدعوة دائماً لأمها، لتصاحبهم، فى مثل تلك المناسبات، إلا أنها غالباً ما ترفض. كانت هذه إشارة لشعورها بالرونية مع مايلز، وكراهيتها لطعام الأثرياء.

الطعام فى النادى ثرى ولذيذ، وكالعادة تكون صالة الطعام مزدحمة، وهى تشق طريقها خلف مايلز وجيسكا، تأملت جينى أن الثروة وعلو المكانة الإجتماعية توفر للناس حياة مرفهة، ناعمة، ومع ذلك يخلمون أنفسهم بأنفسهم بشكل هادىء، وتذكرت كيف كانت فى طفولتها تلعب مع زميلاتها ويخلبون

الأبقار فى طريقها ويهربون!!.

وهى فى طريقها لإحضار طعامها كادت تقع على الأرض وقالت جيسكا «مايلز يجب أن تحضر لها طبقها بنفسك»..

وعدها مايلز «لا يعرفونها الآن؛ بعد الزواج سيهتمون بها أكثر، سيقف الجميع احتراماً لزوجة رئيس النادى».

قالت جينى «أتطلع لذلك».

ابتسم مايلز «كيف حال الفستان؟»

قالت جيسكا «يجب ألا تعرف شيئاً عنه»

وقالت جينى «إنه جميل، السيدة بيستون ماهرة حقاً!».

وهو ينظر إلى فستان جينى «لديها موديلات جميلة، كل ما ترتدينه جميل، عندما تتاح لك الأموال لتملأى دولابك لن تجاريك إمرأة فى، جرانتلى يا جينى».

قالت جينى «فيما عدا جيسكا»

تنهدت جيسكا «أخشى ألا يحسب لى حساب فى أى شىء، عندما تتزوجان سأخرج».

قال مايلز متضاحكاً «هراء، ستظلين الملكة فى منزلى»

«كيف تجرؤ على قول ذلك، ستكون جينا هى الملكة طبعاً».

قال مايلز «جينا ستكون زوجتى، وأنت الملكة، ملكة الخميلة الخضراء، أليس كذلك يا جينا؟»

قالت بتحفظ «أكره إدارة شئون منزلك»

قالت جيسكا «كأمر واقع، سأكون سعيدة لوجود شخص آخر يغسل جوارب وملابس مايلز الداخلية، إنها مهمة تزعجنى»

قال مايلز «تعرفين إن إدارة المنزل تعنى الإهتمام بكل

arabic.kutub.com

شيء» ابتسمت جينى لجيسكا «هذه محادثة سخيفة، لا مجال للحديث عن إحتلال جينى لموقعك فى إدارة المنزل يا جيسكا أنت تديرين كل شيء منذ عشرين عاماً، منذ وفاة أمى، ولا أرى مبرر للتغير».

إقترحت جيسكا «ربما تحتكم للجنة، لن تستطع مالم تدخل جينا فى أى شيء».

«ولا هذا، سأخبر الخدم بإطاعة السيدتين»

سألته جيسكا «ماذا تنوى لها أن تعمل طيلة اليوم؟»

قال مايلز «هناك الكثير لجينى، خصوصاً عندما يصبح لنا أسرة» لمس يد جينى، أقصى مايفعله علنا، ونظر إليها بودد «يمكن لجينا الحصول على ماتريد طبعاً، تطلب فقط، لكن طيلة حياتك يا جيس، الخميلة الخضراء تحت إدارتك»

هزت جينى كتفها قليلاً، وابتسمت وظلت صامتة أخجلتها المحادثة كلها. وركزت على طعامها،

كونها ليست ربة منزلها فكرة مزعجة، لكن على الجانب الآخر، مايلز محق، جيسكا ترعى المنزل منذ عشرين عاماً، وهى شقيقته الكبرى ومستحيل أن تسودها شابة أصغر منها بأكثر من عشرين عاماً.

فوق ذلك، تعلم جينى سيكون هناك وقت طويل جداً قبل أن تتولى إدارة شئون منزلها لقد شاهدت جيسكا، توزع عمل الخدم، تضع قوائم الطعام، تخطط الحديقة، تقوم بمئات الأعمال فى المنزل، وهى تجيد التعامل مع الخدم والباعة.

عندما فتحوا المناقشة ثانية، كان الموضوع جديداً، وفى الساعة الثامنة والنصف مساء تلك الليلة، كانوا قد أوصلوا جيسكا للمنزل، وظلا وحدهما فى طريقهما إلى شقة جينى،

بادر مايلز فتح الموضوع.

قال: «أرجوك ألا تكون قد أحبطت بما قلته هذا المساء، لكنى أريدك أن تفهمى الأمور بوضوح بيننا نحن الثلاثة».

«لا، لم أشعر بإحباط أبداً».

أوقف سيارته الجاجوار أمام المدخل، والتفت إليها «ليس لأنى لا أثق فيك، بل لأنك صغيرة وشقيقتى كانت دائما لها وضعا خاصاً فى منزلنا.

أومأت جينى «طبعاً، أنا أرتاح لها»

أخرج البايب وبدأ يملأه «أعرف وأنا سعيد بك جداً، لم أملك أبدا، لكن أبى ترك لى المنزل وكل المال، جيسكا لها نصيب ضئيل، وبعض مجوهرات أمى، والجميع يتوقع طبعا، أنى سأتزوج، لكنها لم تتزوج وواجبى رعايتها طيلة حياتى، اعتبره واجبى جيسكا تعنى كثيرا لى، وزواجنا لن يغير ذلك..»

قالت بنعومة «آه يامايلز، يجب ألا تشرح لى..»

مصمماً «إسمعينى، أنا أعتبر الخميلة الخضراء منزل جيسكا، بمثل ماهو منزلى، سيظل منزلها أظنها ستشعر بإهانة شديدة لو وجدت نفسها على الهامش تديرها زوجة شابة، لن تطيق ذلك»

قالت جينى ببرود «ليس لدى أدنى نية لإزاحتها، طالما تريدها أن تستمر فى إدارة شئون المنزل، لن أعترض، فهى تؤدى المهمة أفضل منى».

«تمام، يسعدنى هذا، أن تعامليها كشقيقة كبرى لزوجك.. وكشقيقة حقيقية لك شقيقة كبرى تتعلمين منها»

كان على وشك أن يقول لها «عامليها كأم!!»

«لن أكرر أنني أحبها ومتفاهمة معها»

ماذا بمقدورها أن تقول؟ لن يسعده ما كانت ستقوله، قبل زواجها بسبعة أسابيع، ويقال لها لن تكوني ربة منزلك الوفية شاذ، طالما علاقة مايلز وجيسكا بهذا الارتباط الوثيق، وطالما هي الكبرى، يجب أن تسوى الأمر، هذا كل ما في الموضوع.

تمنت لو كانت هي وجيسكا أصدقاء، ستحاول بكل جهدها تسيير الأمور، لكنها ستتزوج مايلز، وليس شقيقته، وعلاقتها به، ليس بشقيقته، هذا مهم جداً. تتمنى أن يفهم مايلز هذا!

قالت وهي تتنهد «سأبذل قصارى جهدي، تعرف ذلك».

بدا مايلز راضيا في النهاية «هكذا، تمام إذن» ابتسم وأضاف «الأفضل أن تذهبي لتنامي، ألا تفكرين ثانية في زواجنا ألم تغيري رأيك؟»

«طبعاً، لا، لماذا تسألني؟»

نظر بعيون ملؤها مودة «الإسبوعين الماضيين.. ماذا أقول؟ كان يبدو عليك عدم التيقن وعدم الإستقرار».

كذبت بإبتسامتها «مجرد صيف رطب، لم يحدث أبداً، أن فكرت مرة ثانية يامايلز، عقلي واضح»

«يسعدني سماع هذا» كانت قبلته أدفأ مما هو معتاد، كانت معبرة عن حبه.

شاهدت أنوار الجاجوار الخلفية تمرق عبر الظلام، بعد خمس دقائق، رغم أنها ليلة صيفية دافئة، شعرت البرد وكانت ترتجف، إنها برودة داخلية، أدركت جيني هذا، أسى ولوعة داخلية، مثلما شعرت عندما أخبروها وهي صغيرة بوفاة أبيها.

لكن ماذا تخاف؟ الزواج من مايلز؟ لماذا يستقر الإحباط

واليأس داخلها مرة ثانية، ماذا حدث لها؟ لأنها عرفت موقعها الثاني في المنزل بعد جيسكا، لماذا هذا التشوش في ذهنها؟.

إنه عبث هذا التذبذب في مشاعرها مثل اليويو من يوم لآخر!! أهي ستتزوج مايلز أم لا؟ أتعرف عقلها أم لا؟

المشكلة أنها عندما تصبح واثقة، واثقة جداً، يعقبها عدم يقين وعدم استقرار ويغمرها الأسى والكمد..

وقفت قليلاً في المدخل، قلبها يكاد يتوقف، كانت دراجة راي واقفة في الفناء مرة أخرى، وكان باب مارجريت مواربا، والضوء الأصفر يتسلل خارج الفناء.

جاء ليراها مرة أخرى، لكنها لن تواجهه هذه الليلة، ليس بكل هذه المشاعر وهذا الإحباط والاستسلام. وهي تحاول التسلل إلى شقتها دون أن يرقبها، كانت فكرة غبية، في الحالة، قررت العودة، والسير في محطة الاتوبيس، حيث ستجد أحد الاتوبيسات الحمراء ستذهب إلى كوخ أمها، وتقضي الليلة معها، وتعود بالاتوبيس للعمل غداً.

كانت تنوي الذهاب إلى المحطة قبل أن يراها أحد، أو أن يتحرك الأتوبيس لكنها شعرت بأنها ستترك راي في شقة مارجريت!!

للحظة، إنغرس نصل الألم في قلبها.

هزت رأسها غاضبة، يا لها من فكرة غبية ليس من حقها أن تغار عليه، لايعنوا شيئاً لها!!

لكن مفتاح استعادة تماسكها المفقود هي التوثق من ذلك الشعور الغريب الذي يربطها براي، معه تنزاح كل شكوكها ومخاوفها أتتركها معه! لو اختار قضاء ليلته مع مارجريت، هذا ليس شأنها، في الواقع سيكون شيئاً طيباً لو فعله. سيذكرها

بأى رجل يكون راى !

هل هو من النوع الذى يتمرغ فى أحضان الغواتى ؟ طبعا هو كذلك ! تذكرت تينا هاريور، ألطف امرأة فى جرائمى ؟ كان صبيا عندما أخذته تينا لسريرها، فقد عذريته وبراءته وعمره ست عشر عاماً،

شعرت بعضة الألم فى حلقها، وانغراس نصله الحاد فى قلبها، هل ستبقى أم ترحل لأمها ؟

الغيرة شعور غريب مخجل، مؤلم صعب تحملها، لكن هذا هو شعورها الآن تحترق بالغيرة من مارجريت ايزى، التى ستلقى بنفسها فى أحضانه الليلة !!

شعرت بأظافرها تخترق راحتها، أسنانها تصطك.

« أنت الفتاة الوحيدة التى تمنيتها »

« هذا فقط لأنك حصلت على ما تريده من الأخريات ».

« ربما ».

« نعم، لم تمارس معه الحب أبداً، مازالت عذريتها شاهدة على ذلك، ربما إشتهاها هو، لم يحاول أخذها عنوة، الثلاثاء الماضى، كان المرة الوحيدة التى حاول فعلا معها. لمجرد أن الفرصة سنحت له. عندما دخل غرفة نومها ورآها عارية.

لكن لم يحصل أكثر من القبلات واللمسات لكن ألا تريده هى ؟ وهى الآن على وشك البكاء لأنها تريد أن تكون مكان مارجريت الليلة ؟

هل هناك نساء يشعرن بمثل هذه المشاعر عشية زفافهن ؟ غير واثقات من شعورهن نحو شريك حياتهن، ويتشوقن لآخر.!!

تحركت فى مقعدها كرهت نفسها على هذه الأفكار، لرغبتها فى راى هكذا.

ليست بحاجة لمثل هذه الشكوك والتشوهات، كانت سعيدة حين عاود الظهور على المسرح، لو تستطيع إجراء عملية لإزالة كل ذكرياتها معه من قلبها.

لكن شعورها فى أعماقها، كانت دائما تتمناه، لقد تبادلوا القبلات ليلة السيارة المسروقة، كانت أول تذوق طعم القبلة !

بين ذراعيه إنصهرت ليلتها بنفس الطريقة التى فعلها الثلاثاء الماضى، تشعر وكأن روحها تقفز إليه تحتضنه، جسدها يزأر برغبة متوحشة لا تطاق، تستطيع أن تتذكر بكل التفاصيل الحية كل لمساته، كل التوهج العاطفى الذى يسرى فى عروقها تحت تأثيره ليلة صيفية مسروقة، فتحت عيونها على عالم واسع مجهول كانت لا تراه..

لو لم يصل البوليس ليلتها، لكان مارس معها الحب، فوق المقعد السيارة، عندما انكشفت لها أسرار روحها وجسدها، لأول مرة، وتلك اللذة العجيبة التى تحلق بها فى السماء.

أغمضت عيونها، كانت هناك أوقات أخرى، قبلات أخرى، مع راى دائماً كانت تريد المزيد منه، تريد الحب المكتمل جسداً وروحاً، لكنه كان يتراجع عند اللحظة الأخيرة.

المرة الوحيدة التى أرادها الاسبوع الماضى، لكنها هى التى تراجعت !!

ربما لأن علاقتهما فقدت توترها، رغبة محرمة، تغضنت جبينها تركيزاً لماذا ؟ لماذا تراجع راى دائماً ؟ ألم تكن جذابة ؟ أيحب تلك الضحكات الطائشة مثل ضحكات مارجريت ؟

الآن تراهما بعيون عقلها، راى، مارجريت.

وقفت، وفتحت عيونها، لقد فعلت الشىء الصحيح الليلة.

arabicbooks.com

هى خطيبة مايلز لانجتون، زوجته قريباً، بعد خمسة أسابيع، فى السرير الواسع فى الحميلة الخضراء سيفضى زوجها بكارتها فى ليلة الزفاف، لتكون زوجته لنهاية العمر.

ستجىء أعوام وتذهب سنين، ويصبح راى مجرد ذكرى، ذكرى بلا ضرر بلا خطر، بلا ألم.

تعلقت بتلك الفكرة، يجب أن تتخلص من رغبتها لراى أو افتقادها له.

أليس ذلك السبب فى موافقتها على الزواج من مايلز فى البداية؟ نعم! نعم لقد نبتت فكرة زواجها من مايلز من غرس تجربتها مع راى.

حدقت من النافذة ليلاً، غارقة فى ظلام أفكارها وخواطرها.

وهى تنام فى غرفتها فى كوخ أمها، شاهدت نفس الحلم المرعب مرة أخرى، هى فى محطة ضخمة تحت الأرض فى وسط لندن لا تدرى وجهتها، لكن المرعب يجتاحها، دائماً تسير فى إتجاه خاطىء.

شقت طريقها وسط زحام عبر ممرات عديدة، سمعت أصوات لم تفهمها شاهدت وجوه لم تتعرف عليها، مرة ترى نفسها فى مصعد، يسير بها فى إتجاه خطأ وتذهب حيث تخاف، حتى النهاية بعد أن استنفذت طاقتها، وكفاحها الطويل وصلت للسطح، وجدت القطار وقذفت بنفسها عبر بابه؛ كان ملىء بالمسافرين مسحتهم بعيونها بلا مودة، بلا رحمة..

عندما تحرك القطار، سار أيضاً فى الإتجاه الخطأ، جعلها الإحباط واليأس تبكى، وهى تحاول فتح الباب دون جدوى

لم ينفتح الباب، أسرع القطار مندفعا فى النفق، فجأة

فجأة راى، يقف على الطوار، يلوح لها وينادیها.

حاولت إلتقاط كلماته، أن تشاور له، لكن دون جدوى،

لا ترى سوى الظلام حولها.

www.kitab.com

الفصل السابع

الرهان

«هل قضيت وقتا سعيدا تلك الليلة ؟»

إلتفتت لترى نفسها تحدق فى ريان سافاج وعيونه الداكنة الزرقة ، إنتصبت معتدلة ، ولكن جفن حلقها فجأة ، وساد ببرود «ألا يجب أن تكون تطعم الحمام الآن ؟» لن يسعدها رؤيته فى البنك فى صباح يوم الجمعة .

قال : «إنه يوم راحتى» ماوالت عيونه عليها ، هناك شئ مختلف فيه اليوم ، ربما حقيقة أنه حليق ومهندم الملابس ، لكن بدا متجهماً «أين كنت تلك الليلة ؟»

«ليس من شأنك ، أظنك أمضيت أمسية جيلة مع مارجريت ؟»

لمعت عيونه بالغضب «إذن كنت تعرفين أنتى أنتظرك ، جعلتنى أمل الانتظار»

«لا أظن أن كان هناك موعدا ، هل هناك مايمكننى تقديمه لك يامستر سافاج ؟»

«نعم ، أريد أن أودع هذه» حل حقيبة جلدية ضخمة

وضعها على الرف ، متشككة فتحتها الشباك ، كانت الحقيبة ثقيلة جداً ، لم تستطع تحريكها ، عندما فتحتها ، فهمت السبب مليئة بأكياس نقود ، حوالى ثلاثمائة جنيه عملات نحاسية وفضية صغيرة .

قالت : «فهمت ، أكنت تسرق صناديق التليفونات»

قال : «بل صناديق وقوف السيارات فعلاً ، لقد قررت فتح صناديق حصالتى الصغيرة ، هذه الخطية ثمرة توفير أعوام» .

لقد خمنت أنها عندما تراه المرة القادمة سيكون معه مبرر أو دفاع ، وهذه المزحة تساعدها وبدأ طابور صغير خلفه .

قالت له «عفوا» وهى تتجه لمايلز «أيمكنك ارسال شخص آخر للشباك لأن عميل جاء بنصف طن من العملات الصغيرة» .

أومأ لها مايلز ، وجاء ناحيتها ، بمجرد أن التقت عيناه بعيون راى ، شعرت به يتجمد بجوارها ، فهمت أنه تعرف على راى ، وقال بصوت جاف «مستر سافاج أليس كذلك ؟»

أومأ راى ببساطة «صباح الخير مستر لانجتون أهناك مشكلة ؟»

قال مايلز باختصار «لا ، أيمكنك المجىء ثانية بعد عد كل ذلك ؟»

قال راى بنعومة «أفضل البقاء منتظراً هنا أكره فقدان بنس واحد» .

«كما تريد» سار مايلز لاستدعاء موظف آخر ؛ وجهه متجمد ، فهمت جيدا أنه غاضب شعر بالغضب فى كل أعصابه ، اللعنة على راى لمجيئه اليوم !!

أحضرت ماكينة الوزن ، وجلست إلى شباكها مرة ثانية ،

www.liilas.com

أيا كانت سبب مجيء راى للبنك اليوم، لن تجعل هذا يدوم طويلاً!

وضعت الكيس الأول على الكفة، وقرأت المؤشر، طبقاً لقوة وزنة المطبوعة فوقه، كان خاطئاً، قالت «هذا الكيس خاطىء» وإجتزت كيسا آخر «وهذا به أكثر مما يقول الميزان» تزايد غضبها، وزنت أكياس أخرى، كلها خاطئة.

كان راى يشاهدها، كانت الضحكات فى أعماق نظراته، قالت له بعصبية «هذا ليس مضحكاً» وفتحت الأكياس، لابد من عدها القطع المعدنية النحاسية، لابد من عدها جميعاً، وهى تكره هذا، تحتاج تركيز نصف ساعة، إنه إنتقام منها جعلها تكرهه؛ اللعنة عليه، وعلى مقالبه!!

قال مقطباً «يبدو أنك غير مرحبة»

«أفكر أن أقذفها لك الآن يا راى لا أريد رؤيتك أبداً».

«أهكذا، هذا قرار مفاجىء، منذ اسبوع كنت فى مزاج أكثر عاطفية!!»

نظرت إلى شفته السفلى التى عضتها، شعرت بحلقها يجف وخدودها تتورد خجلاً، وبدأت تعد العملات فى صمت وتضعهم فى الأكياس، لكنه استطرد «إذن رأيت الدراجة، ثم نكصت على عقبيك، ألم تتضايقى لتركى بين مخالب مارجريت ايزى؟»

قالت بإختصار «يبدو أنك تفاهمت معها»

لكنها تذكرت تلك الليلة البائسة التى قضتها، متحيرة بشأنه هو ومارجريت، متخيلة، وهى تتصور، تعرف، ثم يطاردها ذلك الحلم الكابوس، فى نفق تحت الأرض وسط ظلام دامس..

سألته «إلى متى إنتظرتنى تلك الليلة؟»

«ليس من شأنك» نظرت بعنف وشراسة للحظة «استمتعت وتسليت، لكن دعنا من هذا، أين كنت تلك الليلة؟ ترقصين مع الأخ مايلز فى نادى المدينة؟»

«ليس من شأنك!!»

ابتسم «تمام، أليس كذلك، هناك شىء حدث وغيرك يا جينى، ما هو؟»

«لم يحدث شىء، أعتقد أن وقت اللعب فات أوانه»

«غرس مايلز صنارته داخلك؟ أليس كذلك؟»

«لا، ليس كذلك، لكنه يعرف أننا كنا نخرج معاً، كان شيئاً غبياً وقاسياً أن أفعله».

«جينى أريدك أن تأتى معى إلى لندن، غداً، ليوم كامل، بعد ذلك، لو أردت عدم رؤيتى ثانية سأقسم لك على ذلك، أعدك».

جعلت بالغضب يحرق بشرتها «لا يهمنى، لن أذهب معك لأى مكان!»

«إذن سوف تتعرضين لكثير من مضايقاتى، أنا رجل لحوح جداً».

«لو كنت رجلا مهذباً..»

«لكننى لست مهذبا، إذن سوف تفكرين فى نوع آخر من الإغراء».

«يصعب إيجاده»

«يعنى؟»

«يعنى ربما أخبر مايلز كيف تضايقنى، ويتصل بالشرطة ويتم طردك للقرية!»

بمجرد نطقها الكلمات ندمت بمرارة، إرتفعت عيونه بنظرات

elibrary.kilos.com

إحتقار بالغ، وهزت هي رأسها بسرعة، «لا أقصد ذلك، آسفة، لكن أعني كل شيء ماعداها، لن أذهب معك لأي مكان، اللعبة تسليك، لكن لن ألعب معك بعد ذلك، أنا مخطوبة، ليس بمقدورك العودة للمدينة لإختطاف ما تخليت عنه وخذلته منذ عام ونصف».

تغير تعبير عينيه «لم أكن أبداً متغازلاً بل أكبر من ذلك يا جينى».

«قالت بإختصار «ليس على حسابى»

«بل على حسابى أنا، ولن أجلس لأراك تقعين فى فخ زواج كهذا، ذلك الآلة التى بلا قلب».

«راى!»

«ناهيك عن الفالية جيسكا، هى شخصية قوية، لقد ظلت ترعاه طيلة ثلاثين عاماً كيف تتخلى عنه لشابة صغيرة الآن؟»

لم تجبه، أطبقت فمها، واصل كلامه «أتدركين أنك لن يكون لك قيمة فى ذلك البيت؟ بينهما، لن تكونى أكثر من طائر مغرد فى قفص، لطيفة، حلية للزينة لكن بلا قيمة أصلاً».

ظلت صامتة، وأوماً راى أرى أنك بدأت تدركين ذلك، أتظنين فعلا بإمكانك العيش بالطريقة التى يخططونها لك؟».

شعرت بتوقف وتصلب أصابعها بمجرد الإنتهاء من عد آخر كيس، لماذا لكلمات راى تلك القوة لتصدمها وتحبطها؟ ليس بحاجة لمزيد من الضغط، ليس الآن، فهى تحت ضغوط كثيرة، وقالت بصوت خفيض «إن كنت تهتم بى فعلا إذن يحق الرب توقف عن فعل ذلك معى!! ليس من حقك المجىء هنا، وتدس أنفك..»

«لا تكونى غبية؛ لى كامل الحق، أنت عالمى» لم يكن مرلديا القرط الذهبى فى أذنه.

إبتسم لها وهو واثق من جماله «ألم تفكرى أبداً كيف من السهل على فعلاً أن أدس أنفى؟ كلمات قليلة مع العزيز مايلز عن الأوقات الطيبة التى قضيناها معا أنا وأنت! وعن أننا مازلنا عشاق؟»

حدقت فيه غير مصدقة «لن أصدق أنك تفعل هذا أبداً».

«أنا فى غاية القسوة مع أصدقائى يا جينى، لقد مضى وقت طويل وأنت لم تغادرين جرانتلى حتى فى يوم سيت بائس، ألا يستحق الأمر؟ يوم فى لندن فى مقابل عدم رؤية وجهى المبتسم ثانية؟»

التقت عيونهما لحظة، وهى تفكر فى ظهيرة السبت عند آل وايتربرن «لماذا تريدنى أن أذهب معك إلى لندن؟»

«لأسباب كثيرة، لتشاهدى لوحاتك، لإبعادك عن هنا، لقضاء وقت مع شخص أهتم به جداً».

كان ينطق كلماته الأخيرة برقة شديدة، كانت يداها تعد العملات تلقائيا، تناولت آخر كيس وحدقت فيه، وتساءلت «كيف أستطيع لا أستطيع التغيب يوما كاملا دون إبلاغ مايلز..»

«قولى له الحقيقة؛ بالتأكيد يثق فيك لتقضى يوما مع صديق قديم؟»

تذكرت طريقة رد فعل مايلز على رؤية راى «لا!! سيغضب».

«إذن قولى له كذبة، ستفعلين ذلك كثيراً يجب أن تجربى من الآن».

حدقت فيه للحظة، عاد مايلز للشباك، مازال وجهه جامداً عابساً، رأت غضبه واضحاً سألها «أكل شيء يمضي بلا مشاكل؟» وهو يلمس ذراعها، أومأت «جيل» وهي تركز على عد العملات.

رد مايلز «جيل» والتفت إلى راي وهي تحاول إفتعال ابتسامة «أيمكن أن أسألك كيف قطعت كل هذا الطريق من المنزل يا مستر سافاج؟»

قال راي «يبدو أنك نسيت، جرانتلي هي موطني»

«آه، فهمت أن موطنك في لندن هذه الأيام تعيش هناك منذ سنين، أليس كذلك؟»

استطرد مايلز «على أية حال، لم تعد جرانتلي موطنك، أليس كذلك؟ كما أن هذا ليس فرعك، يذهلني مجيئك كل هذه المسافة لتحضر أموالك لدينا؟»

«يذهلك، يبدو وكأنك تريد تفسيراً»

«ربما» وحدق مايلز في جيني ثم في راي.

كانت ابتسامة راي ساخرة «يا لهذا الاتجاه الغريب! لكن هذه جرانتلي، نسيت كيف يمكن أن يكون مدراء الفروع الصغيرة»

شعرت جيني بتجمد حركتها لهذه الإهانة، وإشتعل وجه مايلز غضباً «من كامل حقي الاستعلام عن أي شيء يحدث هنا في البنك»

قال راي ببرود «ليس البنك ملكك، حتى هذا الفرع، ليس ضمن ممتلكاتك يا مستر لانجتون»

نظر إلى النقود وقال «هذا إهدار لوقت الموظفين، لم يتم عدها قبل إحضارها هنا!»

ساله راي ببساطة «والعدادات موجودة لذلك، ولن يستمر [illegible] لو إعتبر إيداع النقود إهدار لوقت موظفيه»

حاول مايلز ضبط أعصابه «ربما عبرت عن نفسي بشكل [illegible]، لماذا اخترت هذا الفرع بالذات»

«آه، فهمت» ضحك راي «بخصوص جيني أليس كذلك؟ يجب ألا تتركها تعمل في الشباك طالما لا تريدها أن [illegible] مع آخرين؟»

«عموما جيني ستترك البنك خلال اسبوع، بعد ذلك، لن [illegible] هناك مبرر لأي لقاء بينكما»

قال راي هازئا منه «أنت تدور في دائرة مفرغة إن كنت [illegible] على حديثي مع جيني لماذا لا تقول هذا مباشرة؟»

«لو اضطرتني لذلك، لن أتدخل في صداقات جيني؛ لها [illegible] لتقابل من تشاء، لكنني لا أعتبرك صديق ملائم [illegible]!»

«بكلمات أخرى، تتدخل في صداقاتها»

شعرت جيني بالدوار من التوتر وهي تتلفت حولها؛ بقلقها أن جميع من في البنك يسمع كل هذا، قالت «مايلز! أرى أن [illegible] أفضل..

رد مايلز، أقصد أن أقول، ربما تظنني مغفل يا سافاج، [illegible] لست مغفلا، لا تظن أنني لم أدرك أنك تعترض طريق [illegible] بطريقة علنية؛ ذهبت إلى شقتها دون دعوة ركبت [illegible] السيارة، وجئت بسيارة مكشوفة، وجعلتها تركب خلفك [illegible] الدراجة البخارية وسط المدينة، تركت الأمر يمضي، لأنني لم أعتد استعمال اليد الثقيلة. لكنني أعرف الاعيبك الصغيرة والآن أصبحت نكتة قديمة!»

www.kitab.com

جلست جين صامتة، إذن مايلز يعرف كل شيء عن زيارات راى!! غرقت فى بؤسها. طبعاً يعرف، يعرف كل شيء يحدث فى جرانتلى.

قال راى «أنت تذهلنى، عقلك أصغر مما توقعت، لو أرادت جين أن تراني، بأى حق تمنعها من ذلك؟»

«من حقى الإعتراض ومنع زوجتى المقبلة من ممارسة أى شيء عابث بأى طريقة أختارها»

قال راى بإبتسامة عريضة «هذا مرعب، لكن هل أنت واثق أننى جينى تعتبرنى تافه؟ لماذا لاتسألها؟»

ساد صمت بعد ذلك، كانت جين ترتعش كلاهما يشاهدها، وهى متجهمة قالت بصوت خفيض «ليس هذا المكان أو الزمان للتشاجر، لكن لو أصر كلا منكما على هذه الصبيانية..» أخذت نفسها، وحاولت التأكيد من نفسها «أقول لك لاتحاول رؤيتى ثانية يا راى، أتمنى أن تحترم رغبتى، سيكون جميلاً منك، وسهلاً».

كان ينظر إليها مشفقاً عليها، بلا غضب، بلا أى عاطفة.

تحدث مايلز «هذا ينهى الحديث يا سافاج إعتبر هذا إنذار رسمى، أتمنى ألا أكرر هذا لأننى لو كررته، ستندم» وربت على ذراع جينى «أغلقى الشباك عندما تنتهى من هذا الرجل المهذب، أريد رؤيتك فى مكتبى فور انتهائك».

دار على عقبيه ومضى.

صدمتها ضحكت ريان.

قالت بعنف «يسعدنى أنك تعتبرها مضحكة لماذا لاتنصت جيداً»

حمدا للرب، لقد انتهت من آخر كيس عملات، كتبت

عليه الرقم، ملأت دفتر الإيداع، ختمته ومررته إلى راى «مائتى خمس وسبعين جنيهاً، رضيت عن عملك الصباحى؟»

تناول الدفتر دون النظر إليه «ياله من أحمق» وابتسم «أتشعرين فعلا بأى احترام له؟».

«أجابتى نعم، ولقد فقدت أى احترام شعرت به من قبل تجاهك!!»

«كان يتجسس عليك، أتفهمت هذا؟»

«لا» رفضت الإتهام بهزة رأسها «إنها غلطتك، لا يحدث شيء فى جرانتلى بلا شائعات، وهذا ماتريده.. أى رجل أعمى كان بمقدوره رؤية طريقة مطاردتك لى «كانت على وشك البكاء» إنصرف من فضلك، لقد تسببت فى دمار يكفى لشخص..»

«انتظرى»

«ماذا؟»

«مازال عرضى قائماً يا جينى، لو جئت معى الليلة غدا، سأختفى من حياتك»

هزت رأسها، متحيرة إن كان قد تعلم، كانت تتمنى ألا يقع ما حدث اليوم، ستواجه مايلز الآن، وتخبره لماذا لم تذكر له لقاءاتها مع ريان سافاج..»

قال بهدوء «سأجىء إلى شقتك صباح الغد، لو أردت قبول عرضى سأكون جاهزاً أمامك ليلة بطولها لإتخاذ قرارك»

دون كلمة أخرى إنصرف، وخرج من البنك شاهدته، وأغلقت الشباك، واتجهت إلى مكتب مايلز، كان جالساً خلف مكتبه عندما دخلت وأغلقت الباب، التقت بعيونه الباردة.

بدأت «مايلز، آسفة لما حدث الآن..»

www.liilas.com

«لا تعتذرى ما أتوقع من هذا النوع تلك الحماقة، مازال لصاً»

«لا أدرى أنك كنت مهموماً بأنه يرانى وأتوقع أنك تتساءل لماذا لم أخبرك»

ابتسم مايلز «أظن من حقى التفسير، نعم أليس كذلك؟».

«السبب بسيط، كنت لا أريد إغضابك».

كررها خلفها «أغضب؟ لماذا أغضب من شىء كهذا؟ مالم يكن لديك ما هو أكثر؟»

«آه، يا مايلز!» جلست قبالته «لم يحدث أى شىء بيننا، إن كان هذا ما تريد معرفته كلها أمور بريئة»

«أنت تكذبين!!»

«ماذا؟»

«تكذبين على، ليست كلها أمور بريئة، هذا واضح جداً، من خلال نزعة هذا الرجل، دناءته وحقارته، هو ليس شخصا بريئاً ولا أنت يا جينا، الآن أخمن هدف زياراته يحاول إقناعك بعدم الزواج منى، مثل كل أصدقاءك، أتنكرين ذلك»

إلتقت العيون، هى مدينة له بالحقيقة «لا، لا أنكر ذلك» إشتعل وجه مايلز غضباً لكنها استمرت «المهم هل أقنعنى أم لا، وأظننى أظهرت ذلك أنه لم يقنعنى».

«أتوقع أنه يريد الزواج منك، أليس كذلك؟»

«راى؟ يتزوجنى؟» رغم التوتر ضحكت.

«ما المضحك فى ذلك؟» سألها غاضباً.

«أنت لم تفهم.. هو لا يساوى قلامه ظفر فى الدنيا.. يعمل فترة الصيف كعامل موسمى فى المزارع، ولا أدرى ماذا

يعمل فى لندن فترة الشتاء! ليس من النوع الذى يستقر ويتزوج، يا مايلز، حتى لو كان كذلك ليس فى الوضع الذى يجعله يتحمل عبء عائلة».

تصلب مايلز، كما لو كانت قد تفوهت بشىء جارح «هل هذا السبب الوحيد لتفضيلك الزواج منى؟ لأننى ثرى؟»

تنهدت «طبعا لا، أنا مخطوبة لك، لا مجال للتفضيل، راى لا يعنى لى شيئاً»

«كان يعنى لك الكثير».

«هذا منذ زمن طويل، قبل أن أقابلك»

«تحديداً، كنتم أكثر من أصدقاء، أليس كذلك؟»

تجنبت عيونه «ليس بالمعنى الذى تقصده»

«آه، يا جينى، أريد الحقيقة، كاملة، هل مارست معه الحب؟»

عدم التصديق جعلها تحدق فيه لحظة ثم أحمر وجهها، وقفت على قدميها «لدى عمل لأؤديه يا مايلز»

وقف «إنتظرى، عليك اللعنة» أمسك بذراعها «ليس إهانة، كنت عشيقته، أليس كذلك؟ إن لم يكن الآن، كان فيما مضى؟»

«لا، ليس من شأنك، لكننى لم أكن عشيقه راى أبداً، لا قبل، وبالتأكيد ولا الآن».

«أتتوقعين أن أصدق ذلك؟ بينما تتركينه يقبلك ويحضنك هنا؟»

قالت بمرارة «نعم، أتوقع أن تصدقنى يا مايلز، أقول لك الحقيقة، سمعت ما قلته له اليوم، ماذا تريد أكثر من ذلك؟ أداء اليمين والقسم؟»

www.liilas.com

دق جرس التليفون على مكتب مايلز، والتقط هو السماعة بنفاذ صبر: «نعم، نعم حسنا جداً فى لحظة وضع السماعة، وهو ينظر إليها متجهما «البنك ليس مكان المنافسة هذه ستتحدث الليلة؛ قبل ذهابنا إلى النادى»

أومأت «وهو كذلك» وما زالت غاضبة.

«والآن، سأقابل أحد عملاء البنك» وقف مايلز محاولا إزالة ملامح الغضب عن وجهه؛ أصبح صوته هادئا، كما لو لم يحدث شىء «هل ستحترمين هذه الأوامر، من فضلك؟ هى على مكتب فيرا ديفيدسون»

أومأت جينى؛ وقفت وخرجت من المكتب.

قال مايلز وهو يتطلع عبر الفناء «ما يغضبنى؛ هو أنك أخفيت كل ذلك عنى كل ذلك الوقت»

عضت شفتها «كان يبدو غير هام فى البداية.

«غير هام؟»

«حسنا، نعم» كانت شمس الأصيل تسطع بدفئها وأشعتها الذهبية على مكان وقوفهما المألوف أمام مدخل منزلها، وهى تحاول أن تشرح لمايلز موضوع راى، حاولت ألا تكذب عليه، حتى أنها سمحت له بدخول الشقة، تركته يقبلها، دون أن تدعه يسىء فهمها أو فهم ما حدث؟

الآن يسيطر مايلز على غضبه، لكنه مازال مثاراً «أنت تعرف أن راى وأنا كنا..» ترددت «كنا أصدقاء، وهو يشعر أن من حقه نصحى، مهما كانت نصائحه مضللة».

وهو ينظر فى عيونها «تضليل مقصود، يجب أن أقول لك شيئاً يا جينى، لقد إتصلت بفرعه فى لندن منذ إسبوع بعد.. بعد أن علمت بمطاردته لك، طلبت معلومات عن مستر ريان

سافاج قدم لى معلومات مثيرة عنه، مما أكد الشكوك، هو محتال حقيقى».

سألته «لماذا تقول هذا؟».

«ليس له عمل ثابت، ولا وظيفة، هذا شىء، كمجرد بداية، ما رأيك؟» المرء يتجر كيف يعيش بينما يودع مبالغ كبيرة على فترات، يودعها نقداً يقوم بتحويلات كبيرة، ثم يسحبها جميعاً، دائماً نقداً.. ماذا يفترض ذلك؟» تمام وجه جينى وشحب واستطرد مايلز «لا يدفع ضرائب ولا يحتفظ بدفاتر شيكات، نفس السمة المميزة لأى مجرم، يا جينى، أعمل فى البنوك لزمن يؤهلنى تلمس تلك المؤشرات «لديه بطاقة ضمان بنكى، أتريدين معرفة نوعية الأشياء التى ينفق صديقك العزيز نقوده عليها؟»

«لا، هذا ليس صحيحاً يا مايلز؟»

«مجرد مثال دقيق، على الخمر والنساء، بالإضافة إلى الملابس والدراجات البخارية، معظم أمواله على الخمور، هناك دائماً فواتير لانهاية لها من الملاهى الليلية، الكازينوهات والفنادق، وأسوأ الأماكن، واضح أنه يدفع لقاء ممارسته الجنس، أو ربما يفضل، معاشرة العاهرات».

أدارت جينى وجهها، عيناها تملأها الدموع ماذا تتوقع غير ذلك؟ لقد خنت نوعية حياته فى لندن، لذا يجب ألا يصدمها ذلك.

لكن الألم داخلها اعتصرها، ربما كان لديها خيط أو ذبالة أمل بأن راى سينتصر على الشامتين فى النهاية، ومثابرته ستساعده فلديه مواهب هائلة، كما تعرف، وتمنت دائماً أن يستثمر إمكاناته، ولا يظل خميرة مشاكل طيلة حياته. لكن هذا

www.liilas.com

الأمل قد مرغ فى الوحل.

فجأة عاودها مشهد راى على ضفة النهر حاملاً لوسى النائمة، وأشعة الشمس الذهبية تسطع، كيف يمكن لرجل بهذا الجمال والمواهب أن يسير فى اتجاه خطأ؟

قال مايلز بنعومة «اللعنة، أيهمك هكذا كثيراً؟»

قالت بصوت مبحوح «كان صديقاً، آه يا مايلز، أشعر بالأسى عليه، لم تتح له أبداً الفرصة! لم يكن له أبوين، كان يعيش دائماً فى متاعب.. مع ذلك قادر على تحقيق الكثير، لو وجد من يرشده».

قال مايلز بمرارة «تظنين نفسك هذا الشخص؟»

وغالبت دموعها «لم يهتم بى أبداً، ليس هذا المعنى.. ليس لدى أية أوهام عن ذلك، لكن يمكن لشخص ما أن يساعده، ربما شخص مثلك شخص أكبر، حكيم..»

نهرها مايلز «أكيد أنت تمزحين، لن اقترب منه أبداً»

هزت رأسها فى تعاسة «أنت الجانب الأسوأ فيه، مثل الآخرين، لكننى أعرف أن بداخل راى جانب طيب، أعرف ذلك، لو ساعده شخص مرة واحدة، بدلاً من إدانته، ماذا سيحدث له يا مايلز؟»

«ليس هذا من شأننا أو محل إهتمامنا.. حمداً للرب» كز أسنانه «هذا الشخص بداخله شىء يجعل الدم يغلى فى عروقى؛ ربما بسبب معرفتى كيف كانت مشاعرك نحوه، ربما بسبب أنه يختلف عنى كثيراً» كان تعبيره مغروراً «هو رجل من النوع الذى تحلم به معظم النساء، أليس كذلك؟ وسيم، وضيع بلا أخلاق، فحل لقد رأيت كيف تنظر إليه فتيات البنك. كما لو كن عطاشى يمتن من الظمأ وهو السقا يحمل

الماء المثلج!!»

توسلت إليه «مايلز، لا، مهما كانت مشاعرى نحوه فى الماضى، هذا ماضى إنتهى»

«أصدقك» إبتسم ابتسامة واهنة «فقط أريد إبعاده عنك؛ وعن جرانتلى الآن، هذا رجل منحط، تلائمه القرى النائية، حيث يبسط نفوذه.. الشرير».

لم تستطع إنكار المبالغة والتهويل «آه لا، هو مجرد صانع مشاكل، ربما يكن راى هيجياً غير مسئول، لكنه ليس شريراً، ربما يكون مجرد صغير، كما قلت، لكن لا أصدق أنه أسوأ من ذلك».

تنفس بعمق «أنا آخذه بجدية أكثر منك كنت على وشك فسخ خطوبتك هذا الصباح أتعرفين ذلك؟».

صاحت باكية وقلبها يتمزق داخل صدرها «مايلز!!»

اعترف لها «كنت محبطاً بائساً، بقدر ما طال صمتك على زيارات سافاج بقدر تزايد إقتناعى بأن هناك شىء يحدث..»

حدقت فيه بعيون غائمة «كنت تعرف كل شىء كيف؟»

قال بحزم «آه.. الناس تبلغنى»

«أى ناس؟»

«ناس قريبة منك».

«ليس هناك أحد قريب منى...» فجأة خنت «تقصد مارجريت ايزى؟»

تلعثم ثم أومأ «نعم»

قالت جبنى «كنت أظنك لا تعرفها، ولا أعرف أنها من ذلك النوع» ما تذكرت إبتسامة مارجريت السخيفة، وأسئلتها المُقتحمة، وتخللها شعور غير مريح بأنها تراقبها طيلة الوقت وتبلغ

www.liilas.com Behance

تقاريرها لمايلز.

«مارجريت لها حساب فى البنك، وديعة شخصية وأنا واثق أنك تعرفين؛ فقدت وظيفتها منذ فترة لذا سهلنا لها الأمور، فهى لها جيل على البنك عندما إنتقلت بجوارها طلبت منها أن تراقبك».

سألته جينى «جاسوسة لك؟» كان صوتها يقطر مرارة وعلقم!!

«مجرد مراقبة، لنتأكد أنك بخير، لا تبدين مصدومة هكذا، أنا شخصيا لا يروقنى ذلك لكنه مجرد إحتياط حكيم، وأنقذنا من الوقوع فى موقف قبيح جداً».

ابتعدت جينا بعيونها، وهى تشعر بالخديعة لكنه أمسك يدها، وتخلل أصابعها بأصابعه «جينا، كونى ناضجة، هذه ليست لعبة، كما تعرفين».

قالت بصوت خفيض «أعرف»

«أريد أن تقولى لى وقتما يقترب منك فوراً، لا تحاولى التعامل معه بنفسك، هو أخطر مما تتخيلين، ببراءتك، أتركيه لى، أعرف من يستطيع التعامل معه، إناس تتحدث نفس لغته التى يفهمها».

سألته «ماذا تقصد؟» واتسعت عيناه محذرة.

«أعنى لو إقترب منك ثانية، سأتأكد أنه سيندم بقية عمره» وابتسم «لا تخافى هكذا، إنه عالم قاسى، أحيانا يجب على المرء أن يكون قاسياً فى مواجهته».

شعرت بالتعاسة تغمرها بظلتها السوداء، كما لو أن الكابوس يحيط بعالمها «مايلز بحق الرب لا تفعل شيئاً أحمقاً، راى ليس تهديداً خطيراً، وليس عنيفاً..».

«من ذكر العنف؟ لى نفوذ، بكل الوسائل كل أنواع النفوذ، لو لم يتعلم مستر سافاج الدرس، يجب إيجاد وسيلة أفضل لتعلمه، لم بعد كل ما ذكرته لك عنه، تصرين على الإشفاق عليه؟».

«لا أريد رؤيته مهاناً بأى طريقة، مهما كان الآن، كان يوماً صديقى!»

مؤكداً لها «آه، سأتذكر ذلك، لو اضطرت للتعامل مرة ثانية، بالتأكيد سأتذكر ذلك».

www.liilas.com

الفصل الثامن

المصالحة

بصعوبة وبعد استجداء طاوعها نومها، عجزت عن الاستقرار على أحد جانبيها فى سريرها، الذى بدا وكأنه حار جداً أو بارد كالصقيع، أو أصغر مما كان، أو أكبر مما كان! الأشياء التى ذكرها مايلز لها عن ريان سافاج مازالت تدور فى ذهنها وتعرض لها شريطاً من الصور الدنيئة والرديئة عنه، فى الساعات المبكرة من الصباح كان طاقتها قد نفذت، لكن نومها كان مليئاً بالكوابيس مثل الليلة التى تركت فيها ريان عند مارجريت.

كان الكابوس ينتهى عند لحظة الرعب، هى واقفة عند طريق ليلا، وأنوار سيارات الأسعاف والشرطة تعلن عن حادث مدمر، اصطدام موتوسيكل بسيارة نقل ضخمة وبيرود تحاول البحث وسط الحطام، سيارة من؟ موتوسيكل من؟ جثة من؟.

تحركت للإمام، بشرتها تنضح بالرعب كان وجه الرجل الميت متجها للجانب الآخر، مغطى بالدم، إنه راى، وخلفه، يجلس مايلز خلف عجلة قيادة سيارته ضاحكاً.

استيقظت جينى، وهى تبكى، وتجلس فى سريرها، تسبح

فى عروقها.

بعد الفجر مباشرة، والشمس تملأ غرفتها بأشعة الشروق، مازالت تعيش رعب الكابوس صدرها يخفق، صارخاً، فتحت الستائر، بالرعب الأحلام وكأنها حقيقية، مخاوف المرء تشكلها، طبعا مايلز لن يؤذى راى أبداً. بمثل هذه الطريقة.

لقد صدمت بتهديداته القبيحة ليلة أمس، لقد توسعت فى تفسيرها وخطورتها.

تطلعت إلى السماء وتنفست بكل قوتها لتهدأ نفسها وتزيل توترها.

كان يوم سبت عادى، عشية عطلة الأسبوع، زفافها بعد اسبوع، ستقضى ظهيرة اليوم مع دودى وإدوارد وايتربرن، والمساء مع جيسكا فى الخميلة الخضراء، غداً ستقضى اليوم مع أمها، فى المساء تذهب إلى نادى المدينة مع مايلز وجيسكا.

تقلصت عضلات معدتها فجأة، للحظة، وكأنها تعانى غثيان من فكرة قضاء مئات العطلات الاسبوعية هكذا، هل تستطيع تحمل ذلك لأعوام قادمة؟.

أغمضت عيونها، وكأنها تبعد نفسها، وتعلقت بإطار النافذة، يارحمة السماء لن يغمى عليها، هل سيغمى عليها؟ شعرت بالدوار فى أذنها وهى تقاوم السقوط.

لم تأكل ليلة أمس، ولم تتناول شيئاً منذ غذاء أمس؛ فهى تتضور جوعاً، متعبة بعد الكابوس، لا شىء غير ذلك.

بعد دقائق؛ فتحت عيونها، مازالت عيونها غائمة، مازال حلقها ممروراً، نامت على ظهرها، يالغباءها وضعفها.

إنها مجرد عطلة إسبوع عادية ممتعة، كل شىء تحت السيطرة، ويسير بنعومة، بعد الحمام والافطار ستشعر

بالإنتعاش.

سيجيء راى هنا صباحاً، قاصداً أخذها معه إلى لندن.

إمتلأ قلبها بالمرارة لفكرة مقابلته ثانية، ابتعدت عن النافذة، وخلعت ملابس نومها مستعدة للحمام. حان وقت الحديث المليح مع راى، يجب أن يفهم ضرورة توقف هذه اللعبة الآن.

ليس لصالحها، بعد حديثها مع مايلز أمس يجب ألا تظهر أى ضعف الآن. مايلز يعنى تهديده ورغم عدم تصديقها على قدرته ممارسة العنف فكرت فى حلمها مرة ثانية، بمقدوره إيذاء راى بأكثر من طريقة. فى ضوء موقف راى الضعيف، ان يصعب على مايلز خلق مشكلة مالية أو قانونية له، لو أراد.

ما الذى ذكرها بأن مارجريت بلا شك ستتجسس اليوم كالعادة، يجب أن تتحدث معها للتتأكد أنها لن تبلغ مايلز بهذه الزيارة الخاصة.

ذهنها ملىء بأفكارها وهى عارية دخلت الحمام، وبدأت المياه تزيل رغب الكابوس، لكنها مازالت تفكر فيما كشفه لها مايلز ليلة أمس عن راى، لقد كان شيئاً فظيعاً، لكنه تتوقع أى شىء من راى، لم تصدقه عندما قال أنه قد تغير، هل صدقته؟ لا، طبعا، ليس ساذجة.

مع ذلك تهتم كثيرا به، أيمكن أن تفعل شيئاً له؟ من الذى بمقدوره مساعدته؟

كانت على وشك البكاء وهى تخرج من تحت الدش، تتناول منشفتها وتجفف جسدها، وبدلاً من ارتداء ملابسها، إتجهت إلى النافذة، وهى ملفوفة بالمنشفة وجلست على مقعد النافذة تنظر للخارج.

مازال الوقت مبكراً، لم تصل الساعة السادسة بعد، مازال

الصمت يخيم على المكان بالكاد هناك طيور تغرد فى السماء.

لقد تلاشى كابوس الليلة، وأوهامها وإنخداعها فى راى، وتلاشى ارتباطها بمايلز وفجأة بدأت ترى الأمور بوضوح وبرود لم يحدث لها من قبل.

«هى لا تحب مايلز لانجتون.

لم تحبه أبداً، مشاعرها تجاهه إحترام وعرفان بالجميل، ربما ميل وإنجذاب، لكن أبداً لم تحبه ولو ساعة واحدة.

أحبت رجلاً واحداً طيلة حياتها، ولن تحب سواه، وهو راى سافاج.

حاولت أن تنساه، طيلة عامين، نجحت لكن عندما ظهر فى حياتها، فقدت نفسها مرة ثانية لتعود جاريته أسيرته كما كانت عندما كانت تلميذة ترتدى الجونلة الكحلى.

إذن أين يتركها هذا؟ لا تحب الرجل الذى ستتزوجه بعد اسبوع، بينما يستعيدها حب رجل غير مقبول أبداً كزوج. فيما عدا، شىء واحد ـ أنه أجل رجل رأته فى حياتها.

غرقت جينى فى بحر من الهموم؛ قلبها يكاد يطير من الشوق لراى، ماذا ستفعل؟ هل ستتزوج مايلز؛ فى ضوء ما تعرفه. الآن عن نفسها؟

أحبك، لم تقل هذه الكلمات لمايلز، كانت هناك لحظات أرادت أن تقولها، لكن الخجل أو التحفظ، لم تقلها.

والآن عليها أن تدرك موافقتها على زواج مايلز لدوافع ليس الحب ضمنها، دوافع تفهمها الآن، لكن ما أجبرها على قبول عرضه؛ والإعتقاد بأنها تفعل الشىء الصحيح.

هل يعرف مايلز أنها لا تحبه فعلا؟ لقد غطت الحقيقة بأمل أن الحب سيجيء بعد الزواج، بعد معاشرتها لبعض؛ بعد

إنجاب طفل لكن مع ضوء هذا الصباح، أدركت جينى أن الأمل خيط رقيق لا يمكن بناء الزواج عليه.

مؤكد أنه يعرف أنها لا تحترق شوقا له، وأنها لا تراه جذابا. وهو ليس ذلك النوع من الرجال، بل أقل الرجال من الناحية الجسمانية ربما هذا العامل هو الذى ساعد على هذا الفشل السريع..

تحيرت إن كانت مشاعر مايلز نحوها، مشاعر مجردة بلا لون كمشاعرها نحوه، لو كانت كذلك ستتخطىء بزواجها منه.

ماذا عن رأيها؟ أيمكنها الزواج من رجل لا تحبه؟.

ارتسمت على فمها ابتسامة مريرة، طبعاً لا، ملايين النساء يتزوجن رجالاً لا يحبهن لكن يوفرن لهن الأمان، المنزل، العائلة السؤال هل واحدة من هؤلاء النساء إن كانت تريد ذلك النوع من الزواج، إن كانت ستتحمل حياتها بعد ذلك.

لقد تعلمت كثيراً عن مايلز، أمس، فهمت أنه ليس فقط الرجل الشريف المحترم دائما، المبجل، بل قادر على ممارسة سلوك مسيطر، إنتهازى وغير شريف لتحقيق ما يريد «لى نفوذ، كل أنواع النفوذ».

نعم، من السهل على مدير إتبنك فى مدينة صغيرة أن يوسع نفوذه، من السهل أن يمنح أو يمنع المجاملات التى لن يلحظها البنك بل تعنى الكثير للناس المعنيين ــ توفير القروض، تسهيل الدفع، تأجيل الديون.

لذا ظل محبوباً، محترماً، لذا جعل مارجريت جاسوسة لحسابه. والرب وحده يعرف ماذا قال راى لمارجريت تلك الليلة التى هربت هى لتنام عند أمها، هى لا تطيق التفكير فيها.

«هى لشىء أو لآخر تستحق أن يسدى لها البنك

معروفاً».

وقفت جينى وكأن عمرها أضيف له أعوام وليس مجرد واحد وعشرين عاماً. يجب أن تواجه نفسها بنزاهة صارمة. فى ضوء ذلك لن يصبح بمقدورها الزواج من الرجل الوحيد الذى أحبته، فهل مايلز لانجتون أسوأ أم أفضل من أى شخص آخر؟ فى النهاية، هو ليس فاسداً، وشخص ذو عزيمة، ليس فظاً ليس به صفة غير مقبولة كزوج؟

هذه فكرة قاسية، وارتدت ملابسها ببطء، يجب أن تتحدث مع مايلز، بأسرع ما يمكن. لتسوى هذا الأمر. لقد نسجت له المزيد من الأكاذيب أمس ــ ليس لكونها تريد خداعه، لكن لأنها لم تكن تواجه الحقيقة عند تلك المرحلة لكن الآن من الهام أن تخبره تحديداً بحقيقة مشاعرها حياله، وتترك له فرصة الإنسحاب وفسخ الخطوبة؛ إن كان هذا ما يريده، لقد قال إنه كان على وشك فسخ الخطوبة أمس، إذن فهو ملىء بالشكوك مثلها.

«كنت على وشك فسخ خطوبتنا هذا الصباح».

ماهى المشاعر التى غزت قلبها عندما قال ذلك؟ تحذير؟ راحة؟.

لماذا وافقت على زواجه؟ لتكون سيدة الخميلة الخضراء؟ ابتسمت لنفسها بأسى. هذا شىء لن تكونه أبداً، طيلة حياة جيسكا لانجتون. على أية حال، فهى لا تلتفت للمكانة الاجتماعية أبداً.

من أجل المال؛ إذن، بالطريقة التى أتهمها بها راى دائماً؟.

ربما هناك قدراً كبيراً من الحقيقة فى هذا الاتهام المرير،

بقدر أكبر مما اعترفت من قبل. ربما انبهرت بفكرة كونها ستصبح أمرأة ثرية تتمتع بالأمان الذى توفره الثروة.

عشية رحيل راى إلى لندن، وبعده، عاشت حقبة من عدم الأمان ايقظت كل مخاوفها التى عاشتها منذ وفاة أبيها. ربما أدركت وقتها أنه لن يكون زوجاً لها؛ وأنها لن تريد سواه. مع ذلك لم تعتبر مايلز لانجتون زوجا لها، رغم احترامها واعجابها به كصديق للعائلة، فهى لم تحبه، أبداً.

لكن تعرف ما يمكن أن يوفره مايلز لها، رغم غياب الحب، فالأمان بديل أفضل، فى مدينة صغيرة، شبه ريفية، فإن عرض الزواج من رجل مثل مايلز لانجتون يعنى صفقة كبرى. يجعلها تقول نعم دون ندم أو تردد.

أسبوعين، أربعة عشر ليلة، وتصبح متزوجة، شعرت بموجة ألم تجتاحها جعلت أصابعها ترتعش. ماذا لو كان تفكيرها المنطقى البارد أحمق، وكانت خطأ فظيع؟ وكأنها فى مصعد يصعد بها للطابق الخطأ، يصعد بها لأبعد مما تريد.

أدركت أنها استعارت تلك الصورة من الكابوس الذى هاجمها فى الكوخ تلك الليلة، وغاص قلبها بالضعف والمرارة ثانية، يجب أن تتحدث مع مايلز، ويجب أن تتحدث مع راى

يجب أن توضح ذلك بصراحة، يجب أن تفعل!

سمعت صوت موتور موتوسيكل راى فى الفناء، وهى تنهى افطارها. واتجهت إلى الباب لتقابله.

كان مرتديا الجاكت الجلدى الأسود الذى ارتداه فى اليوم الأول لرجوعه ومجيئه للبنك، خلع خوذته، كانت عيونه تنضح بالسعادة عندما رآها، كانت ابتسامته الدافئة تفيض مزاجها المكتئب الحزين، وحاولت أن تبتسم له.

وقف ينظر إليها «مستعدة للذهاب؟»

هزت رأسها «لن أذهب إلى لندن معك يا راى، لكن أريد أن أتحدث معك»

تلاشت بسماته الدافئة وهز كتفيه «آه، وأنا أريد أن أتحدث معك، حسنا، على الأقل لنرحل عن القرية مرة فى حياتنا، نتمشى على شاطىء النهر؟»

ترددت، ثم أومأت «وهو كذلك، لكن يجب أن أعود وقت الغذاء لمقابلة مايلز، هناك قهوة جاهزة، تعالى لتتناول فنجان حتى أستعد»«

دخل، ولأول مرة لم يحاول تقبيلها، شعرت أنه محبط مملوء بمرارة لعدم ذهابها معه إلى لندن، لكن الآن، هناك أمور أهم يجب الالتفات لها.

بعد خمس دقائق كانت ارتدت الجينز، واستعدت لاغلاق الشقة والتفتت إلى راى وقال له «عرفت كيف عرف مايلز بأمر زياراتك لى، مارجريت ايزى كانت تبلغه بكل ما يحدث هنا».

ضحك بنعومة «قلت لك إنه يتجسس عليك».

«نعم» نظرت إليه بحدة «أثق أنك لم تقل لها شيئاً سخيفاً، فى أحد زياراتك لشقتها»

«لم أقل أى شىء لأى أحد».

«حسنا، لا أريد أن يعرف مايلز بأمر هذه الزيارة الخاصة، لذا سأطلب منها ذلك».

سألها «أهذا من الحكمة فى شىء؟»

«لا يهمنى إن كان حكيماً أم لا؛ لا أريد أن يحدث لك شىء» وهى تطرق باب مارجريت.

وهو يهزأ منها «ما هو الشيء المرعب الذى سيحدث لى ؟ ، هل الأخ مايلز يهددنى ؟ »

« بصراحة ، نعم ، وهو قادر على تنفيذ تهديده ، كما تعرف ، أنا واثقة أنها لم تخرج فى الصباح ، مؤكد هى بالداخل » .

قال راى « ربما نائمة » وانتظر دقيقة ثم تناول ذراعها بقوة « إنس مارجريت ، لدينا الكثير لنتحدث فيه ، أؤكد لك أن مايلز لاتجتون لا يحرك شعرة من رأسى » .

قالت بنفاذ صبر « لاتكن سخيفا ، مايلز يعنى ما يقول ، يمكنه إيذاءك ، يا راى ، سيؤذيك إن لم تستمع لى » .

إبتسم ساخراً « مايلز؟ كيف لقصاصة الترزى أن يؤذينى ؟ »

قالت « أنت ضعيف ، ربما ليس جسديا ، لكن ماليا ، مايلز له وضعه فى البنك ، يمكن أن يسبب لك متاعب . مع الشرطة ، على سبيل المثال »

ضاقت عيناه « ضعيف ، شرطة ، مشاكل ، تجعلينى مثل مجرم يا جينى يا عزيزتى » .

« لا أعرف ماذا تعمل ، لم تخبرنى ، ولا أظن أننى أريد أن أعرف ، لا يهمنى ، كل ما يهمنى أن تفهم الرسالة الآن » .

« ليس لدى ما أخشاه من مايلز أو الشرطة تعالى يا جينى ، لو كانت نائمة ، ليس من الملائم إزعاجها » .

دون رغبة منها ابتعدت عن باب مارجريت ناحية الموتوسيكل الأسود ، هذه المرة أحضر خوذة لها ، بيضاء ، لتتلائم مع خوذته ، أهذا غرور!!

أدار الموتور ، وركبت خلفه ، ابتعد خارج الفناء ، ثم باتجاه النهر .

خارج القرية كانت الحقول بدأت تتخذ اللون الذهبى المحروق ، والزهور تفترش ضفاف القنوات ، كان الجو قد ازدادت حرارته ، كانت الصيف رائعا ، واليوم جميل ، لم تتذكر يوما دافئاً كهذا منذ صباها .

لكنها لم تستطع مغالبة آلام أنها آخر مرة تراه فيها . .

إختار منحنى على شاطىء النهر لإيقاف الموتوسيكل ، حيث يغزر نمو الأعشاب البرية بزهورها الفضية التى تتمايل لتقبيل المياه كان أحد أماكن صيدهم المفضلة قبل رحيله إلى لندن منذ خمسة أعوام ، مكان بعيد عن الطريق ، منعزل ، هنا ، كانوا يسبحون ويتحدثون فى أيام الصيف الطويلة .

خلعت خوذتها ، وتطلعت إلى سطح النهر ، وإلى الشاطىء ، حيث بها راى ، خلع الجاكت ، عندما طوق خصرها بذراعيه أغمضت عينيها .

« أتذكرين هذا المكان ؟ » كانت شفتاه فوق أذنيها ، جعلتها ترتجف .

« نعم أذكره » وتملصت من ذراعه ، لا تطيق لمسه « لا تلمسنى يا راى ، من فضلك !! »

ابتسم لها « وهو كذلك ، لنجلس » .

كان عقلها يموج بالذكريات ، جلست فوق العشب تحت أشعة الشمس الدافئة ، وتمدد راى بجوارها ، يغطى عينيه بذراعه وهمس « حسنا ، طالما سنتحدث كثيراً ، من الذى سيبدأ ؟ »

قالت : « ما سأقوله لن يستغرق وقتاً طويلاً »

« إبدأى إذن »

حدقت فى النهر ، بعيونها البنية الوسيعة التى كثيراً ما إمتلأت بنظرات السعادة والمرح لكن اليوم غائمة كسيرة

www.liilas.com Behaa

وبدأت حديثها بهدوء «بقدر ما تتخيل، تحدثنا أنا ومايلز أمس، عن ظهورك فى البنك، لا داعى للطريقة التى تحدثت بها معه، التى أثارت المزيد من التعقيد للمشكلة، أتخيل أن هذا ما أردت أن تحققه».

«كنت أريد أن أتحدث معك، وعزيزك مايلز، كان غير مسرور بذلك، أتذكرين؟»

أبعدت عيونها عنه، كبحت مشاعرها، كان وجهه جميلا بدرجة أذابت قلبها، وقالت: «بصرف النظر عن أخطاء أمس، مايلز يعرف عنك وعنى» وضحكت «هذا مؤلم وكأنه ذنب، أليس كذلك؟ يعرف أنك كنت تقابلنى؛ وحاولت تحريضى على عدم زواجه وقال لى أنه كان على وشك فسخ الخطوبة أمس».

إعتدل راى ونظر إليها بنظرات عميقة «أهكذا؟».

«كان غاضبا جداً، وكنت أنا غاضبة جداً، أيضاً، وجاء وقت لم أعد واثقة من قدرتى على الإستمرار، وأمس إتضح كل شىء».

«بأى معنى؟»

«بمعنى أننى يجب أن أواجه مشكلة كبرى، يا راى، أواجه نفسى، أواجه مايلز، أواجهك».

«إستمرى».

قالت بإبتسامة ممرورة «قلت سأكون مختصرة، عن نفسى ــ لم يعد لدى أية أوهام، عن أى شىء. فى العامين الماضيين، لقد تغيرت لم أعد الفتاة التى كنت تعرفها، لم أعد أؤمن بالرومانسية الحالمة، أصبحت برجماتية عملية، باردة القلب، إن كان يعجبك. أعرف ما أريده من الحياة»

قال هازئا «تتحدثين وكأنك غير راضية عن جينى نورث مكيف الجديدة».

«لا، لا أظن ذلك، لكن يجب أن أعيش بها، على أى حال، هذا كثير عنى، لا أريد التحدث عن نفسى أكثر من ذلك. الآن عن مايلز، أنت كنت على حق يا راى، أنا لا أحبه، لم أحبه أبداً. لقد أوضحت أنت لى ذلك».

لمعت عيونه «حداً للرب على ذلك!!»

واصلت حديثها بنفس اللهجة «لا أحبه، لكننى أحترمه، ومازلت أريد أن أتزوجه»

ثار بركان غضبه «بحق الرب، يا جينى كيف تصبحين حمقاء صغيرة هكذا؟».

سألته «نحن حمقى، ألسنا كذلك؟ أنا لى طريقتى، وأنت بأسلوبك، لكننى أعنى ما أقول، لقد تقبلت خطوبة مايلز للزواج عندما تقدم لى لأول مرة. ومازلت موافقة، سأقول له أننى لا أحبه، أنا مدينة له بذلك، وأظنه سيتقبل الحقيقة. وأظنه مازال يريدنى» لمحت نظرة راى الغاضبة «كنت على حق عندما قلت أننى لا أحبه، لكن هذا لا يجعل الأمر مختلف كثيرا، لن أتزوجه من أجل الحب».

«لا، تتزوجينه من أجل المال».

فتحت فمها لترد، ثم تفكرت أكثر فى ردها «ربما تكن على حق، لن أناقش ذلك كثيراً، مهما ماسيحدث بيننا، أنا ومايلز، فهو شأننا، ولا دخل لأحد فيه، وأنت، دونا عن كل الناس لا حق لك لإنتقاد الطريقة التى أتصرف بها».

باذلا جهده للحفاظ على هدوئه قال «وهو كذلك ماذا تقولين عنى، ما هى الحقيقة العظمى التى أدركت عنى طيلة

أربع وعشرين ساعة ؟ » .

قالت وهى تحاول الابتسام « لا شىء ، لم أعرف بعد » لقد قررت ألا تقول شيئاً عما كشفه لها مايلز أمس ، ربما يكون قاسيا جداً عليه ولا غرض منه ، لكن لصالحه ستكون حاسمة معه لصالحه ولصالحها ، وقالت « كنا أصدقاء لفترة طويلة ، بل أكثر من أصدقاء ، كان جيلاً يا راى ــ أعنى ذلك . لكن الآن يجب أن تنتهى يجب أن تنتهى ، لا يمكن استمرارها ، تحت هذه الظروف ، أقول أننى لا أريد أن أراك أبداً بعد ذلك » .

يا ربى ، هذا صعب أن يقال ، نطقه سهل ؛ كما تدربت عليه فى الصباح فى غرفة نومها ، لكن الآن تلعثمت فى الكلمات بينما عيونه الزرقاء عليها .

فجأة بدأت تغالب دموعها التى ملأت عيونها ، لم تستطع مواصلة حديثها ، عضت شفتها السفلى لتوقف إرتعاشتها .

لم يحاول تهدئتها أو لمسها ، بدلا من ذلك قال بصوت هادىء « وماذا لو تغيرت الظروف ؟ بإفتراض أن الأخ مايلز قرر أنه لا يريدك زوجة له ، وهو لن يفعل ذلك ؟ أتريدين رؤيتى مرة أخرى ؟ »

هزت رأسها ، عاجزة عن الكلام ، كان حلقها غاصاً بالألم ، وهى تحاول جاهدة ألا تنهمر الدموع والعبرات بصوت مسموع .

« إذن تتوقعين منى الاختفاء من حياتك ؟ فى ضوء كلامك بأنك لا تحبين مايلز لانجتون ، أتعتقدين فعلاً أننى سأبعد عنك ، هذا نصف الطريق ، يا حبى »

راقبها لحظة ، كانت تخفى وجهها بين ذراعيها ، وقف على قدميه وسار نحو النهر ، ووقف طويلا ، وهو عاقد ذراعيه على صدره ، يشاهد مياه النهر ، غارقاً فى أفكاره . وهى تغالب

دموعها تسيطر على نفسها بكل جهدها ، رفعت رأسها ناحيته .

مرة أخرى أعاد ذهنها عليها شريط مرئى رأت صورة راى واقفا على الشاطىء يحمل لوسى الصغيرة فى أحضانه على صدره ، ثم تلك الفكرة الحزينة . كيف لشخص موهوب مثله يغرق فى أخطائه هكذا ؟

إلتفت ليراها ترقبه ، وعاد إليها ، كان مبتسماً ، وقال « وهو كذلك » جلس بجوارها « قلت رأيك ، الآن لى رأى ، ولن أقول كثيرا ، هل أنت مستعدة لسماعى ؟

« نعم » وهى تمسح عيونها .

« وهو كذلك ، يسعدنى أنك فى النهاية تواجهين نفسك بخصوص مايلز ، رغم تأخرك فى ذلك . المشكلة أن الوقت ليس فى صالحنا . ستتزوجين بعد إسبوعين ، أعرف أنك تلومينني على تركك بتلك الطريقة . تعتقدين أننى لم أكن مهتما بك ، لكن فى الواقع ؟ أتوقف عن التفكير فيك أثناء وجودى فى لندن . وافتقدتك كثيرا ، أكثر منك ، بفهمك الخاطىء عنى ، وأريدك أن تصدقى أننى كنت مشغول جداً فى السنين الماضية ، وكنت أتشوق للعودة لرؤيتك حالما أستطيع »

قالت بمرارة « يسعدنى سماع ذلك !! »

تجاهل مقاطعتها « منذ أسابيع ، كانت حياتى لاهثة الأنفاس ؛ ثم أخذت مهلة للراحة ، وقررت العودة لرؤيتك ، عندما عدت إلى جرانتلى ، كان قصدى واضح وحاسم ، كنت أعرف ما سأقوله لك ، لكننى لم أتوقع أن أجدك مخطوبة لمايلز لانجتون » .

« لا ، كنت تتوقع وجودى فى إنتظار عودتك بنفاذ صبر ، بقية حياتى ! »

أوما «أنا مغرور أنانى، أوافقك، تماما، دائما توقعت أن أجدك هناك، كنت أظن أن كل ما أقوله أن أطلب منك الإنتظار، وليس هذا ما يفعله رجل مع إمرأة يحبها».

نظرت جينى وهى تتأمل كلامه، والتقت العيون، ليست نظراته ساحرة، بل جادة، شعرت بقلبها يرعد حتى كاد صدرها ينفجر.

لمس خدودها بأصابعه «لقد إنصلح حالى يا جينى، كما قلت لك. تغيرت كثيراً، ليس سهلاً على شخص مثلى أن يتغير، لكننى فعلتها ــ أعدك بذلك. لقد تغيرت فعلا، ربما لاتدركين ذلك أو لاتريدين أن تعترفى به».

ما قاله لها مايلز أمس سيطر على تفكيرها، جعلها لاتصدقه «إن كنت تقصد أنك جمعت مالا كثيراً لتبذره حولك، لا اعتبر هذا تغييراً ملحوظاً».

وافقها بهدوء «ولا أنا، ولا أقصد ذلك كما قلت لك من قبل، هذا النجاح ضئيل فى رأيى، إنجاز رجل مثل مايلز لانجتون نيكون من تراكم المال وكنزه، لامعنى له، يملأنى بالإحتقار».

قالت باختصار «أنت على حق، أنت مغرور لكن من السهل أن تحتقر مالا تحصل عليه أليس كذلك؟»

«جمع المال سهل، يدهشك كم هو سهل كل مايتطلبه هو ميل صحيح تجاه أتباعك، هناك إنجازات أخرى، أشياء أهم من المال».

قالت «أفهم، أنت مهتم بالحياة الروحية المعنوية، أليس كذلك، ما هو الإنجاز العظيم الذى حققته يا راى؟»

رفع ذقنها بأصابعه «أحبك يا جينى أرجو أن تنسى كل شىء بخصوص مايلز لانجتون أريد أن أتزوجك».

الفصل التاسع

القناع الزائف

تجمد وجه جينى من الصدمة وعدم تصديق ما قاله راى، لم تستطع سوى التحديق فى وجهه وعقلها شارد، عندئذ دون تفكير صفعته على وجهه بقدر ما تستطيع. وهى تصفعه مرة ثانية أمسك يدها، وامتلأت عيونها بالدموع وأخيراً طاوعها صوتها «اللعنة عليك راى!»

«خذ الأمر بسهولة يا عزيزتى».

«أنت سافل! لماذا لم تقل ذلك منذ خمس سنوات، قبل حدوث كل ذلك»

«ستعرفين السبب ذات يوم» قبلها فى فمها المرتعش بشفاه دافئة «المهم أننى قلته الآن، دائما نحب بعضنا، منذ البداية، لن تتزوجى مايلز لانجتون، فكرة سخيفة يا جينى، أنت ولدت لتحبينى، لاخيار لك فى زواجى».

دفعته بعيداً عنها «أتزوجك؟» الألم أكبر من طاقتها على التحمل سأكون حمقاء لوتزوجتك منه خمس أعوام، لكن الآن لست حمقاء!!»

كان صوته لطيفا «لم لا؟ هل توقفت أبدا عن الإهتمام

www.liilas.com Bahaa

بى ، يا غالية ؟ »

« أنت أحق ، إهتممت بك أكثر مما تستحق ! »

« لكن ! »

« أنت فى وضع لا يسمح لك بالزواج من أى إمرأة ، خصوصاً أنا » رغم قلبها الذبيح أجبرت نفسها على التحدث بلهجة هادئة « كيف يمكنك التحدث عن الزواج ؟ ليس لديك شىء تعد به أى إمرأة » .

أجاب بهدوء « لدى نفسى ، ألا تكفى ؟ » .

« من تكون ؟ متسكع ، نورّى متنقل ، يوجد فى مكان ليرحل عنه اليوم الثانى مثل الفجر ، شخص لا ينصاع لأى قواعد ، ماذا لديك لتتقدمه لأى زوجة ؟ الحياة على ظهر موتوسيكل والتجول ؟ حياة غير شريفة وسخيفة ؟ أنت تهدر حياتك يا راى ، عندما تطلب من أى إمرأة أن تتزوجك كأنك تطلب منها إهدار بقية عمرها معك ! »

راقبها بنظرات هادئة « سيحين الأوان عندما تعرفين وتشعرين بمشاعر أخرى عن قضاء عمرك معى » .

طوحت شعرها بعيداً عن عيونها « منذ وقت طويل » كان عرض راى الزواج منها يشعل روحها بالغضب كيف يفعل هذا معها ، كيف يستطيع ، من بين كل الأعيبه القذرة الوحشية .. » على أى حال أعرف تماماً أن كلامك خالى من مثقال ذرة من الإخلاص ، إهتمامك بالزواج منى مثل شراء سيارة كتلك التى سرقتها ! »

« تمام ، لتقول أننى أستحق كل هذا التأنيب الذى تقذفينى به ، لكن لنفترض أننى جاد جداً فى الرغبة من الزواج بك ، جاد لتنفيذها غداً ، لو تطلب الأمر ، ما مبرر رفضك

لى ؟ »

شيئاً فى صوته العميق جعلها تتلعثم ويزيح الغضب .

قالت بهدوء أكثر « معنى جميل ، لقد كبرت يا راى ربما لسخر من سعى لتحقيق الأمان ، لكننى جادة ، المرأة يجب أن تكون عملية ؛ لأن الحياة ليست مثل الأفلام ، وارتكاب خطأ فى إختيار شريك حياتها لا يعنى البؤس فقط بل أطفال جاءوا الحياة هل يمكنك رعاية طفل ؟ » .

قال بهدوء « يمكننى أن أقول أن طفلى سيكون محبوبا ومعتنى به ومحاط برعاية مثل أى طفل فى انجلترا » .

ابتعدت عن نظراته « هذا لا يكفى ، ألا تفهم إن أموال مايلز ليست هى فقط ما يهمنى ؟ بل شعوره بالواجب ، بالمسئولية ، معروف أنه رجل مبجل ، سيوفر للأطفال الأمان والراحة ، وسيكون الأب الذى يتطلعون إليه » .

همس « لقد كبرت فعلاً وأصبح لك مخالب ، هل أبدو فعلا مستهتر غير مسؤول يا جينى ؟ »

« نعم »

« لماذا ؟ ، لأننى أرتدى قرط ذهبى فى أذنى وأركب موتوسيكل . بدلا من ركوب جاجوار ، وارتداء بدلة من ثلاثة قطع ؟ »

قالت بحسم « لأنك بدون وظيفة مستقرة ، لأنك متورط فيما يعلمه الرب ، هناك فى إنجلترا ، لأنك بلا كرامة وتعمل فى مزرعة ، أو تقود سيارات آخرين لتركب لها إطاراتها ! »

قال بنعومة « أنت متباهية ، ما العيب فى كسب بنس شريف بالعمل فى مزرعة ؟ هل أنت من طبقة عليا ، ولن ترضين بأقل من مدير بنك ؟ »

www.liilas.com

« لا تسخر منى ، ليس من حقك ؟ »

« طبعا ، من حقى ، تحاولين أن تقولى لى أن الفتاة الحلوة المحبوبة التى عرفتها تحولت لتصبح فتاة جشعة تسعى خلف المظاهر والذهب وأرفض تصديق ذلك ! »

« سمعت كثيراً عن كونى جشعة ، دائما أسمع ذلك من أصدقاء جيسكا ومايلز ، واست بحاجة لأن تضيف المزيد ! »

« تبدو لى كملابس امبراطور جديد ، الجميع يعرف الحقيقة إلا أنت » .

« كلام مبتذل ! »

« أخبرينى ، ما الذى يجعلك واثقة أن العزيز مايلز رجل شريف محترم ؟ حقيقة امتلاكه لجاجوار ومنزل ، ووظيفته كبيرة فى فرع بنك ؟ الرجل الذى جعل جارتك تتجسس عليك ، أتذكرين ، مايلز لا يعرف الدفء أو العاطفة ، ألم تدركين مدى بروده ، خداعه ؟ » .

إنتهرته « راى ، توقف ! »

« وهو كذلك ، سننسى مايلز بمرور الوقت ، لنتحدث عنك وعنى ، هناك سؤال لم تجيبى عنه ، أيمكنك النظر فى عيونى وتقولى لى أنك لا تحبيننى ؟ »

شعرت بتوهج خدودها « الحقيقة ... »

هرب منها الكلام .

« الحقيقة ماذا » .

« أنا .. أنا .. شعرت ذات مرة ـ بك كثيرا عجزت عن النظر فى عيونه « كنت صغيرة وقتها ، مراهقة ، كان عمرى سبعة عشر عاما رحلت أنت إلى لندن » فى النهاية رفعت عيونها « سبعة عشر عاما يا راى ، منذ خمسة أعوام ، كم مرة جئت لترانى ؟ »

« مرات قليلة » .

أومأت « مرات قليلة ، وطيلة عامين لم تأت لترانى ، إثناءها جرت مياه كثيرة فى نهر حياتى ، أصبحنا غرباء الآن ، لم نعد نفهم بعض ، من الحماقة التحدث عن الحب »

إبتسم « تعرفين ، أننى أحتاج فقط لتقبيلك لأثبت لك أن كل ما تقولينه خاطىء تماما ؟ » .

تنهدت « راى ؟ أنت تحاول معاكسة التيار وجعل النهار يجرى للخلف ، ولن يحدث » .

« مشاعرنا لن تموت يا عزيزتى ، بل تزداد قوة دائما ، حبنا سيعيش ، إنتظرت خمس سنوات حتى أطلب منك الزواج ، هناك مبرر لذلك ، مبرر قوى ، مهما ما فعلته لن أكذب عليك ، أطلب منك أن تصديقينى الآن . ويجب أن تكونى صادقة مع نفسك يجب أن تعترفى أن هروبك مع مايلز أمر شاذ لن يحدث ، يجب أن تعترفى أنك تحبيننى »

« لماذا ؟ لإرضاء ذاتيتك ؟ »

« لا ، لأنها الحقيقة » أحاط وجهها بيديه قال « أحبك » بنعومة جعلت الكلمة تسقط فى عمق قلبها مباشرة « دائما أحبك يا جينى ، الآن عدت ولن تهربى منى » .

كلماته فتحت بوابات العاطفة المعلقة على مصراعيها ، وتدفق النهار ليجرف التيار كل شىء أمامه ، وليجرف كل جهدها لكبح جماح مشاعرها ، وليطلق خيل الإحساس الجامح يصهل دونما لجام ، وتدفقت الدموع تغطى الخدود وتسيل حتى الشفاه ، وهى ترتجف « من فضلك ، لا تفعل هذا بى ! »

إنحنى راى ليقبلها « تقولين ، قولى أحبك »

www.liilas.com

« لا »

« الرب يعلم كم طال إنتظارى ، قولى ! »

دفعته ، ووقفت ، قلبها يزأر ، دقاته تخرق أذنها « مجيء هذا خطأ ، وصلنى للمنزل يا راى ، لم يعد لدى ما أقوله » .

« لكن لدى الكثير لأقوله » وقف أيضا وإنحنى ناحيتها مثل الرعد والسماء الرعدة .

وهى تنهنه بمرارة « أكتب لى رسالة ولا تزعج نفسك بتوصيلى ، سأمشى »

استدارت ومشت ناحية الضفة .

أمسك بكتفها بقوة تكفى لجرحها وأدارها لتواجهه « اللعنة عليك »

نظرت فى عيونه الغائمة « دعنى أنصرف »

قالت متهكما « إذن تعودين إلى أبيك الحلو؟ أتظنين أن أمواله ستجعلك تنسى راى يا جينى ؟ أتظنين أن ممارسة الحب معك سترضيك ، أتظنين أن لديه القدرة ؟ »

كانت الصدمة من كلامه قاسية « كيف تجرؤ على الحديث هكذا ؟ »

« آه ، أيمكنك أن تقولى أكثر ؟ »

« يمكننى أن أقول لك أن مايلز لانجتون عاشق أفضل منك ! »

للحظة كان يحدق فى عيونها ، وجه يشتعل غضبا ، ثم جذبها بكل قوته وسرعة خاطفة .

قبل أن تدرى ماذا يفعل ، ضمها بين ذراعيه ، جاهدته ، ضربته بقبضتها ، غمرها الرعب ، وأدركت أنه يحملها بإتجاه النهر ، صاحت « لا يا راى ! »

لكنه تجاهل إحتجاجها تماما ، توقف لحظة نزل بها النهر ، حتى غطى الماء أنفها ، شعرت أنها ستغرق ، نظرت لتجده واقفا عند الشاطىء وهبطت وطفت مرتين ، كان الماء باردا ، وصاحت « النجدة يا راى »

غاصت مرة ثانية ، كانت على وشك الغرق عندما طوقها بذراعيه ، قالت له « أنت قذفت بى فى النهر »

قال لها « كنت سباحة ممتازة ، كان يجب ألا تكونى خبيثة هكذا » .

شهقت ، « يا ربى ، ماذا سأفعل ؟ »

كان يضحك « يجب أن تخلعى ملابسك المبتلة حتى تجف »

« ماذا ــ وأجلس بملابسى الداخلية معك ؟ »

« لم لا ؟ أليس هذا ما تعودنا عليه ؟ »

« كان منذ زمن »

« استمتع بذلك ، ربما تسمعينى الآن أفضل » .

« أسمعك ، لكن لا تقذف بى فى النهر ؟ »

كان جالسا بجوارها « هذا كل ما أريد أن أقوله » قبل فمها المبلل .

همس « كم أنت جميلة » حاولت التملص منه ، هذا خطأ ، مدمر ، لكن بلا جدوى ، قالت على الأقل أفضل من التفكير المتعب ، وحتى تتخلصى من توترها ومتاعب وتشوشها .

قالت كم أحبه ، دائما كنت أحبه .

قال لها بلطف « أحبك »

هيا نسبح فى النهار حتى تجف الملابس .

« ربما يرانا أحد »

ابتسم « لا يجيء أحد هنا ، ولا يعرف أحد هذا المكان

www.liilas.com

سوانا».

«أتذكر هذا المكان» وهى تراه ممسكا بفرع الشجرة التى مالت لتصافح مياه النهر.

بعد أن ارتدت ملابسها، تذكرت موعدها مع مايلز بعد ساعات قليلة، هل تستطيع مواجهته؟ وماذا عن قضاء تلك الفترة فى منزل واتربيرتر.

لم ينتهى الحلم بعد، هناك وقت للتفكير فى مايلز بعد ذلك.

«لم ننهى حديثنا بعد ياجينى، لنلعب لعبة ماذا لو حصلت على وظيفة تعتبرينها محترمة ياجينى. ماذا لو كان معى نقود أشترى شقة فى لندن، أو منزل بالقرب من هنا، فى الريف، ماذا لو تخليت عن التسكع لأستقر بجوارك وأكون أسرة، وأتحمل مسئولياتى والتزاماتى الاجتماعية، وباقى الأمور، ماذا لو وعدتك بعمل كل ذلك، أو بذلت جهدى لتحقيقها، هل تتزوجيننى؟»

نظرت إليه صامتة، كلماته ملأت قلبها بالبهجة والرعب، لا تحل لها مشكلة، لو صدقت نفسها.

قالت «ماذا لو لم تعجبنى اللعبة، لم أفهمها»

«وهو كذلك، سأقولها بصراحة، لو تزوجتك، ياجينى، أعدك أنك لن تندمين أبداً، سأحصل على وظيفة جيدة، سأشترى لك منزلاً وأوفر لك أمان عائلى، لن أتخلى عنك طيلة حياتى، الآن، هل تتزوجينى؟».

وقعت فنجان القهوة ليتحطم على أرضية المطبخ، فهى غير منتبهة لما تفعل، وتوقفت جينى لتجمع حطام الفنجان. كانت يدها ترتجف لدرجة أنها لن تستطيع الإمساك بشىء عقلها يموج بانفعالات شتى، أفكارها مشتتة مثل حطام الفنجان.

بدا جو الشقة دافئا، وشعرت بالتراخى من الحر، وصوت الغسالة وهى تغسل ملابسها المتسخة من النهر، أضاف لها إزعاجاً لا تطيقه، صبت القوة فى فنجان آخر، واستندت إلى سطح دولاب المطبخ البارد وبدأت ترتشف القهوة هل هى جبانة ضعيفة أمام الإثارة؟ أن تتوسل لراى أن يتيح لها الوقت لتفكر؟ ربما. لكن ماذا بمقدورها أن تفعل غير ذلك؟

بسهولة وببساطة قالت نعم هذا الصباح، أن تقول نعم سأتزوجك، وتذوب فى أحضان راى على ضفاف النهر، كأنها نهاية سعيدة لفيلم رومانسى، لكن ليس فى الحياة، كما قالت له من قبل، الحياة غير السينما.

القهوة جعلها تشعر بحرارة أكثر، هى متلهفة على رؤية راى مرة أخرى، حتى يحل المساء يبدو الوقت طويلا، لقد وعدها أن يأتى فى المساء، بعد عودتها من الخميلة الخضراء، وقررت أن تجيبه على سؤاله بطريقة أو بأخرى.

لقد تغيرت حياتها فى الأسابيع الخمسة الأخيرة، أحياناً تمر الشهور والأعوام متشابهة وفجأة يتغير كل شىء.

كان تولها فوق طاقة إحتمالها وهى تسترجع تلك الأسابيع الماضية، وأدركت كم هى على شفا إنهيار، تلك الأحلام المرعبة التى زلزلت كيانها؛ الإحساس بالضعف والإغماء والغثيان ــ هل هى علامات صراع داخلى عنيف. كما أن الزلازل علامات صراع عنيف فى باطن الأرض.

حسنا، الآن لن تتجاهل هذه النذر التحذيرية؛ لقد قادها راى إلى نقطة حيث ثارت براكين الحقيقة حولها. واليوم الآن، يجب أن تتخذ قرارها.

شعرت بصدق راى عن الاستقرار واصلاح ذات البين،

www.liilas.com Behaan

وتغيير وضعه، حتى لو لم يفعل، لن يتغير الأمر كثيراً.

لا مبرر لتخليها عن حب راى، وهى تعرف من أعماق قلبها الآن، أنها لن تستطيع العيش بدونه، لا شىء يهم بجوار هذه الحقيقة ولا حتى خطوبتها، ولا حياتها هنا فى جراتتلى، ولا العار أو تلويث السمعة التى ستلطخ بها رأس مايلز لو ألغت الزفاف الآن، بعد حجز الكنيسة، وإعداد الفستان، وإرسال الدعوات.

راى كان على حق، لقد ولدت لتحبه، حلمها ذات يوم أن تحب مايلز لانجتون حلم مستحيل لن تحب سوى راى. إحساسها به يجرى فى عروقها مستقر فى عمق قلبها. لقد قطعت الفرع لكن الجذر أورق من جديد أكثر قوة واخضراراً.

هذا الصباح نظرت فى عينيه وأدركت كم يحبها، بنفس القوة والشوق مثلها.

هل تهرب وتتخلى عن كل ذلك؟

نعم راى مستهتر غير مسؤول همجى وبصعوبة تصدق أنه قد يبنى شىء، لكن فيه ما هو أكثر لتحبه، لا، ليس حبا، بل عشقا، ذوبانا فى ذاته، عبادة.

خليط من القوة والرقة والثقة، بحيث يسيطر على كل موقف، مرحه، حيويته كيف يثيرها، كيف يخفق قلبها لحضوره هناك أشياء كثيرة تحبها فى راى.

أشياء لا يمتلكها رجل آخر، تجعلها تتحمل همجيته.

لو أراد راى أن تعيش بقية عمرها على ظهر الموتوسيكل، لفعلت دون تردد

نظرت لصورة مايلز المعلقة فى إطار فضى أغمضت عينها وحولتها.

موافقتها على الزواج من مايلز كانت رد فعل يائس لخوفها من عدم رجوع راى، منذ وفاة أبيها وهى تتشوق لوجود رجل، وهذا ما كان يجسده مايلز، صورة الأب، كانت تعلم مسبقاً أنه سيطلب يدها للزواج وفكرت كثيرا فى ردها، فكرة الزواج منه أشبعت شيئاً فى أعماقها، الثراء، الإحترام المكانة!!

ربما كنوع من الإنتقام من الجرح الذى سببه لها راى بهربه وتخليه عنها!!

كم كانت حمقاء!!

طيلة اليوم وهذا الإحساس يكويها بنار

فكرة إبلاغها مايلز بطلب إلغاء الزفاف فكرة لا تطاق، كيف ستقوله له، أنها عرفت أنها تحب راى، ولو تزوجته ستدمر حياة ثلاث أشخاص؟

حدقت فى صورة مايلز مرة أخرى، يجب أن تقول له لم تعد تطيق الزواج منه.

كلما تبلور القرار شعرت جبنى بخليط من تدفق العاطفة من قلبها لتسرى فى كل جسدها، والرعب من فكرة مواجهة مايلز وغضبه، ارتياح كامل لعدم زواجها منه وبهجة لأنها ستكون زوجة راى.

التوتر يزول بطريقة واحدة تعرفها.

كانت تبكى عندما سمعت طرقات الباب كان الوقت مبكرا على مجىء مايلز، لكن قلبها يرعد وهى تقف، تحاول تجفيف عيونها واستجمعت كل شجاعتها واتجهت إلى الباب.

كان الواقف بالباب مارجريت إيزى.

سألتها مارجريت «ماذا حدث؟» عندما رأت الدموع تلمع فى عيونها.

www.kitab.com

وهى تمسح عيونها «آه.. أمر يصعب شرحه ؛ كنت أبحث عنك فى الصباح».

«أعرف، سمعت طرقاتك» كان وجهها شاحبا متوتراً، عيناها متعبة، وكأنها كانت تبكى فى الصباح «لقد جئت من سريرى فورا هل أدخل؟»

«طبعا، هل هناك خطأ؟» أغلقت الباب خلفها.

قالت مارجريت «حدث شىء كريه منذ فترة طويلة» جلست دون دعوة، ونظرت إليها «يجب أن أتحدث معك يا جينى، هناك شىء يجب أن أقوله لك، رغم أنه لن يعجبك كثيراً»

نظرت إليها بهدوء «وهو كذلك» وكأنها تشعر أن الإعتراف قادم «هيا».

تنفست مارجريت بعمق «لا أظنك أدركت أننى أعرف مايلز لانجتون جيدا؟»

«حسناً، حتى أمس فقط، يجب الا تشرحى شيئا يا مارجريت، أخبرنى مايلز أنه طلب منك، مراقبتى».

صححت لها بوحشية «أن أتجسس عليك لست مغرمة بالكلام المنمق ــ بخلاف خطيبك إذن أخبرك»

قالت جينى بلطف «لا تبدين ممرورة هكذا نعم، أخبرنى، وأنك لا خيار لك فى المسألة ضغط عليك».

وافقتها «نعم» أدركت جينى رائحة الخمر فى أنفاسها، وفهمت أنها كانت مخمورة «مايلز يجيد الضغط على الآخرين، كل أنواع الضغوط»

أومأت جينى «إذن بدأت أفهم، أنا سعيدة لأنك أبلغتنى، تأكدى أننى لست غاضبة منك».

ابتسمت مارجريت «أنت فى منتهى البراءة يا جينى، أنت لا تعرفين حقيقة خطيبك».

«لا أفهم ما تقصدين؟»

«لا، أظنك تفهمين» أشعلت مارجريت سيجارتها «لقد طلب مايلز منى أشياء كثيرة قبل التجسس عليك، أنا مدينة للبنك بمبالغ، كما تفهمين، وقروض شخصية وبطاقة إئتمان وضمان بنكى، كل تلك الأشياء عندما فقدت وظيفتى، كنت فى مأزق سىء كنت سأفقد الشقة وكل شىء والسيارة عندما إقترح مايلز أن أجىء للإتفاق».

«أى إتفاق؟»

قالت مارجريت بإختصار «فى مثل عمرك، أى ترتيب تظنين؟ أنت لست بريئة؟

«لا أصدقك»

«بحق الرب، أجلس، سهلا أن أجىء وأقول كل ذلك؟» أشعلت سيجارة أخرى «لماذا أكذب عليك؟ إنها الحقيقة، خطيبك الغالى مايلز وافق على منع إجراءات البنك وتأجيلها، وإعطائى مهلة للدفع، حتى أخضع له، هذه هى كلمته بالمناسبة أخضع «أهى كناية عن ماذا؟ شاهدت اشتعال وجه جينى «حذرتك أن حديثى لن يعجبك».

شعرت وكأنها سيغمى عليها أو يغوص قلبها فى قدميها، مارجريت لا تكذب، مايلز قادر على فعل ذلك، تصدق ذلك الآن. لم تحب مارجريت أبداً بل تحتقرها. لكن الاستماع لها الآن، جعلها تشفق عليها من أعماقها وقالت لها «استمرى».

«آه، كل شىء كان منتظم، نتقابل مرتين إسبوعين، فى شقة يمتلكها، بعد عدة شوارع من هنا، لم يهمنى فى البداية،

www.kitab.com

لست ورعة ولا من النساء المحتشمات كما تعرفين، كان ثمناً بخساً أدفعه للحفاظ على شقتى وكل ممتلكاتى، مرتين إسبوعياً ليس كثيراً، أقل من المعدل الوطنى، أليس كذلك؟»
ابتسمت دون سخرية «مايلز قدرته أقل من المعدل الوطنى كثيراً، إسمعى نصيحتى، لا تتركى صديقك صاحب الموتوسيكل أعرف الرجل الحقيقى عندما أراه، وهذا يساوى ألف من عينة مايلز لانجتون».

قالت جينى بلا حول «أسفة يا مارجريت» كيف استطاع مايلز فعل ذلك الشىء؟ كيف كان قاسياً هكذا؟ «لا أدرى ماذا أقول لك».

«لا، لا مجال للكلام، الشىء الوحيد الذى كرهته هو اضطرارى للتظاهر بأننى استمتع معه» أخرجت السيجارة من فمها وكأنها فقدت تذوقها بذكرى معينة «على أى حال، عندما جئت لتسكنى هنا، قال لى يجب أن أتجسس عليك كواجب جديد. ولم تمنعه خطوبته لك من لقائى مرتين اسبوعيا، بل إستمر، يومى الثلاثاء والجمعة، مواعيد منتظمة كمواعيد العمل».

توسلت جينى «أرجوك لا تقولى المزيد!» أهذا ما كانت تظنه محترماً محبوباً.

«آسفة، نسيت أنك حساسة تجاه هذه الأمور، هو بارد، أليس كذلك؟ تخيلى دفعك لعشيقتك للتجسس على خطيبتك؟» وضحكت مارجريت «آخر شىء أتوقعه منك التعاطف معى».

هزت جينى رأسها «لماذا أغضب منك؟»

«لأننى كنت خبيثة جداً، اجلس فى شقتى بزجاجة حين

أفكر فى مايلز، ومدى حماقتى للانصياع له، ولم أتحمل الاستمرار» فجأة امتلأت عيون مارجريت بالدموع «نفذت طاقتى على الإحتمال، أريدك أن تعرفى ذلك السافل الذى ستتزوجينه، أحذرك سيدمر حياتك» غرقت مارجريت فى دموعها.

«لن أتزوج مايلز يا مارجريت» كان فم جينى يقطر مرارة وغضب «لقد إتخذت قرارى قبل أن تحكى لى هذا، لم أشعر تجاهه بأى عاطفة، لكن الآن أشعر بإحتقاره والغضب منه، والأسف لك، رأى يريد أن يتزوجنى، أنا أحبه منذ كنت صغيرة مراهقة وهو يحبنى، سأفسخ كل ارتباط لى بمايلز»

أضاء وجه مارجريت سرور حقيقى ولمعت عيونها الزرقاء «يا ربى، يا للروعة هذا رجل جميل!» وضحكت «يا لها من صفعة لمايلز، أدفع ألف جنيه لأرى وجهه عندما تخبريه برفضك له، إسمعى لم أقل لك السبب الحقيقى لمجيئى هنا وابلاغك كل هذا».

سألتها جينى «ما هو؟»

«كان مايلز عندى فى الصباح، حوالى الحادية عشر، على ما أظن، كان معه إيدى بارنت،

«من هو إيدى بارنت؟»

«ألا تعرفين، إيدى بارنت الضخم، نزيل المستشفى الأمراض العقلية فى جرانتلى، كان حارس مرمى فريق تارانت حتى أصيب بمرض مطاردة أطفال المدارس، عموما، يبدو أن مايلز كان يعرف أنك لست هنا، سألنى أين تكونين وبوصفى جاسوسته قلت لك أنك ذهبت مع حبيبك»

قالت جينى متألمة «آه، لا»

www.kitab.com

نظرت مارجريت إلى سيجارتها «المشكلة أن إيدى بارنت عنيف، كان مايلز غاضبا عندما إنصرفا معاً فى الجاجوار أقسم أنه سيؤذى صديقك لو عثر عليه، هذا ما أردت أن أحذرك بشأنه».

لم تعد جينى تستطيع الاستماع أكثر من ذلك، وقفت، قلبها يخفق بعنف، صورة إيدى بارنت المجنون تطارد فكرها رجل ضخم وحشى المنظر يكره راى منذ طفولته، قالت جينى «يجب أن أقابل مايلز، لأبلغه أن كل شىء إنتهى ويتوقف عن إيذاء راى!! ربما يعرف أنه يعمل فى نيوتن.. ربما يذهبون هناك للبحث عنه، يجب أن أسرع! مارجريت أيمكننى استعاره سيارتك، من فضلك؟»

فتشت مارجريت فى جيوبها وسلمتها المفاتيح «هيا أسرعى، عندما تعودين أسدى لى معروفاً؟»

قالت جينى «كما تشائين»

ابتسمت مارجريت «لقد نفذت زجاجة الجن»

أشارت جينى إلى الدولاب «إخدمى نفسك»

أسرعت بالخروج من الشقة.

الفصل العاشر

القرار الأخير

توقعت جينى أن تجد مايلز فى الخميلة الخضراء. محاولة تستحق أن تقوم بها، قبل الذهاب إلى مزرعة لاكون. كان عقلها يموج بدوامات القلق على راى، أوقفت السيارة أمام منزل لانجتون، وبعد عشر دقائق كانت تقود سيارتها ثانية، مايلز غير موجود سيارته الجاجوار ليست هنا، بل سيارة جيسكا الصغيرة وجدت جيسكا ترتدى قبعة قش وسلة بذراعها وهى تجمع الزهور، وقفت معتدلة حتى رأتها تهبط من سيارتها، على وجهها إبتسامة هادئة، قبل أن تتحدث جينى بادرتها جيسكا «ليس لدى أدنى فكرة عن مكان أخى، أخمن ما تريدين معرفته؟ ولكن لن أضيع وقتى للبحث عنه لو كنت مكانك»

سألتها جينى «ماذا تقصدين؟»

مازالت جيسكا مبتسمة «أقصد أن كل شىء إنتهى وداع طويل طويل لكل عظمتك».

حدقت جينى فى الوجه الوسيم المتجهم «هل تتحدثين عن خطوبتنا؟»

ضحكت جيسكا «أية خطوبة؟ أنت لم تكونى مخطوبة

arabic.bibliotheca.com Behana

لأحد يا طفلة، خصوصاً لأخى مايلز، لقد فسخت خطوبتك الثمينة هذا الصباح، عندما إخترت مجامعة حبيبك على شاطى النهر على الملأ»

شحب وجه جينى «هذا كذب!».

قالت جيسكا بصوت حاد «كيف تجرؤين على وصفى بالكذب «فجأة أدركت أن هذه المرأة كانت تكرهها وتحقد عليها «أنت حقيرة، لاقيمة لك! هل ظننت فعلا أنك ستصبحين من عائلة لانجتون؟ أحد الرب أن فتح مايلز عيونه الآن قبل فوات الأوان».

وضعت جينى يدها على قلبها كما لو تريد تخفيف آلامه «لو أردت أن تعرفى لم يحدث بينى وبين راى سافاج شىء هذا الصباح».

«طبعا لا، تستلقين عارية فى أحضان حبيبك السابق ولم يحدث شىء!».

«من.. من الذى أخبر مايلز أننى عند النهر؟»

«آه!! كنت تظنين أنك فى مأمن وسط الأعشاب، أليس كذلك، لكن هناك عيون يا صغيرة خصوصا فى جرانتلى، عيون ترى وألسنة تقول؛ كانت عيون حارس مرمى رجل يسمى إيدى بارنت. كان خارجاً للصيد عندما شاهدك أنت ومستر سافاج على الطبيعة دون ورقة التوت!! جاء على الفور ليبلغ مايلز بما شاهده، ولقد طرده عندما إقترب من باب المطبخ! فهو عنيف رجل متوحش، لكنه أداة نافعة فى يد مايلز، الذى يتمتع بمواهب كثيرة بهذا الخصوص كما تفهمين. أغرب الناس يصبح لهم فائدة تحت سيطرته. وعندما رأى حبيبك الغجرى، سيثبت إيدى إنه أداة مفيدة عقاب حبيبك مطلوب، ألا تظنى

ذلك؟».

«العنف لن يحل شيئاً، نعم إنتهى كل شىء مع مايلز، كانت خطأ فظيع، منذ البداية، لكن من فضلك أخبرينى أين أجد مايلز يا جيسكا قبل حدوث شىء غير سار لصالح أخيك إن لم يكن لصالح ريان سافاج؟».

«منذ البداية حذرت مايلز منك، أعرف أنه فى النهاية سيرتكب حماقة فظيعة ضد نفسه قلت له لوصممم على الزواج بعد - كل تلك السنين، يجب أن يختار إمرأة من نفس عمره، ليست بالغة الرقة ولا رائعة الجمال كل أصدقاءنا قالوا ذلك، لكن الرجال حمقى أليس كذلك؟ أى إمرأة متوسطة الجمال على قارعة الطريق يمكنها التلاعب بهم كخاتم حول اصبعها»

بإلحاح قالت جينى «من فضلك يا جيسكا إنه لأمر بالغ الأهمية أن أتحدث مع مايلز قبل..»

استطردت جيسكا «لا يمكنك اتهامى بالتحيز ضدك، أعطيتك كل الفرص لتبرهنى على أنك لست صعلوكة صغيرة، اختبرتك يا فتاة، كل مرة تفشلين» ناولتها سلة الزهور «إمسكى هذه»

تناولت جينى السلة «ماذا تقصدين بالاختبارات؟ كيف فشلت؟».

«حذرت مايلز أنك من أعمق أعماقك لن تكون رفيقة حياته، قلت سأبرهن على ذلك لذا طلبت من أصدقائى الضغط عليك، بكل ما هو غير سار لمضايقتك ولإظهار معدنك الحقيقى، قلت لمايلز ألا يتدخل لحمايتك ويشاهد فقط، كان فى رأيى، أنك فشلت تماما، كما كنت أتوقع، كنت تصورين نفسك فقيرة، تشاركين فى أحاديث تافهة دون كرامة، لكن مايلز

arabic.kitab.com

كان مغرماً بك ، كانت هناك دائماً أعذار لتقصى خبرتك ، الرجال حتى أمام النساء حتى أخى ، لكن أؤكد لك أنه فى النهاية رأى النور وعرف الحقيقة » .

كانت جينى تكظم غضبها « أرى ، لذا أرجو أن أشكرك على كل الإهانات والغمزات واللمزات الوقحة من أصدقائك ؟ »

ابتسمت جيسكا « مايلز غير مؤهل للزواج وهذه الحقيقة الجوهرية أليس كذلك ؟ أنا موجودة لرعايته ، ليس بحاجة لزوجة شابة معقدة مثيرة للمتاعب » .

قالت جينى بمرارة « لا ، يبدو أن مايلز يشبع كل حاجاته الغريزية « كانت تفكر فى مارجريت » .

« بالضبط ، لأقول لك نصيحة ، يا جينا وفرى على نفسك التعاسة إبعدى عن عيون مايلز للأبد . عندما يعود أخى ، سأطلقه أننى قابلتك ، وأسمح لك بالإنصراف » تناولت جيسكا السلة عنها « هذه أوضح وأقصر طريقة ، أليس كذلك ؟ »

قالت جينى « واثقة من ذلك »

« يجب أن تمتنعى عن الظهور فى البنك ، سيتم نقلك بعد فترة عموماً . حسنا ، منذ فترة كان هناك قرار مبكر بتركك العمل » .

« أفهم »

واصلت جيسكا حديثها « طبعا ، لا سبيل لإخفاء الحقيقة عن أهل المدينة ، سيعرف الجميع أن مايلز مبرأ من اللوم ، سيقول مايلز كيف كانت تصرفاتك دنيئة . لن أعدك بغير ذلك ، ولا أمل هناك ، لو كنت مكانك لن أتوقع معاملة شريفة » .

قالت جينى فى صوت مرتعش بالألم « لا ، لست منحطة أو

بلا كرامة ، ولن أكون مثل أصدقاءك البغيضين حتى ولو لأجل كل شاى الصين ، أنا شابة ! عمرى واحد وعشرين عاما ، وعمر مايلز أكثر من ضعف عمرى ، وكان يجب ألا أوافق على زواجه أبداً » كانت عيونها تقدح بالشرر لدرجة جعلت جيسكا تتراجع خطوتين ، « بالنسبة لأخيك الغالى ، لقد تفتحت عيونى لأرى حقيقته أيضا ، لم أحتقر أحداً فى حياتى مثله ! شخص بارد ، غير رصين ، منافق غير شريف لا يستحق أن يكون أدنى موظف فى البنك ! » .

قالت جيسكا بوهن « أنت مجنونة »

« لا ، كنت مجنونة ، الآن أنا عاقلة وحكيمة تجرؤين على أن تقولى عن رواياتكم المبتذلة عنى للمدينة وكيف تصرفت بتلك الحقارة ؟ لقد كنت أتحدث لتوى مع أمرأة إستغلها مايلز بشكل لا إنسانى لشهور ! إستغل سلطته لإبتزازها بأحقر طريقة يمكن تخيلها ! ولم ينتهى الأمر عند هذا الحد ، لو كان لدى البنك أدنى فكرة عن كيفية تصرفات مايلز فى جراتتلى لن يبقى مايلز لحظة فى موقعه ، سيكون محظوظا ألا ينهى حياته فى زنزانة ، الشىء الوحيد الذى يستحقه إذن أبلغيه يا جيسكا ! ! وأبلغى كل أصدقاءك المدهشين أيضا ! ! أبلغى مايلز أنه لو لمس شعرة من رأس راى سافاج ، سأجعله لا يظهر فى المدينة أبداً بقية عمره ! »

كان صوت مايلز خافتا وباردا « لا ضرورة لذلك » .

استدارت جينى لتواجه مايلز ، كان واقفاً خلفها ، وجهه شاحب ، كانت غارقة فى غضبها ولم تسمع صوت سيارته .

قالت جيسكا بصوت مرتعش « مايلز ، عما تتحدث هذه الطفلة ؟ »

www.liilas.com

«لا يهمك، أنصحك ألا تكرري أي إتهام من هذه الاتهامات الفظيعة يا جيني»

«لا تهددني» ردت باحتقار، كنت أتحدث مع مارجريت ايزي، أي شيء تقوله أو تفعله لا يهمني الآن يا مايلز، أين الغوريللا؟ وأين راي».

«لا..» لم يجد كلمة ملائمة يقولها ربما لأول مرة في حياته.

أكملت جيني الجملة له «لا تفضحي نفسك بعد ما فعلته بمارجريت ايزي، الرب يعلم كم من باقي الناس المساكين؟ بعد الفساد الذي تتصرف به؟»

«هذا إدعاء! من الصعب إثبات وجود فساد، المرأة سهلة» كانت يده ترتعش وهو يرفعها مؤكدا كلامه!!

باحتقار كررت جيني الكلمة «سهلة؟ هذا كذب رخيص يا مايلز، أتعجب كيف فعلت ذلك، ماذا لو عرف الناس ذلك؟

تلعثم مايلز، وضع يديه في جيوبه ليخفي الرعشة «لا معنى لهذا العداء المتبادل يا جينا، أنا مستعد لعمل تسوية معك».

هزت رأسها «تسوية؟ لا أريد سماع المزيد من تسوياتك يا مايلز».

قال مايلز «لن يقال أي شيء حول سبب إلغاء الزواج، سنقول أنه قرار مشترك دون شائعات، لن يلومنا أحد، سأقوم بكل الترتيبات لإلغاء الزواج، والصحف..»

وتردد كأنه يقوم بعمل حساب في ذهنه «سأضع خمسة آلاف جنيه في حسابك صباح الاثنين».

«مايلز، لقد فقدت عقلك»

«خمسة آلاف جنيه أهذا كل شيء؟».

قال مايلز بسرعة «عشرة»

قالت باحتقار «لن آخذ عشرة ولا مائة المرأة التي يجب أن تشتري صمتها هي مارجريت إيزي، تحدثها معها يوم الثلاثاء، موعدكم الغرامي، الشيء الوحيد الذي يهمني يا مايلز هو ريان سافاج، هل فعلت به شيئاً؟» وهو يبدو مرعوبا، خطت نحوه «لو أذيته..؟»

«لم آذيه بعد..»

«ماذا تقصد، ليس بعد؟» كانت جيسكا تشاهدها.

قال مايلز بصوت مرتعش «هو يتناول غذاءه في مطعم كوبان هات، شاهدنا الموتوسيكل هناك، بارنت ينتظره على الطريق..»

«بأوامرك لضربه؟»

«لتأديبه؟»

أسرعت جينا إلى السيارة، أدارت المحرك ونظرت من النافذة، كان مايلز وجيسكا يشاهدانها يبدوان ضئيلان شاحبان مرعوبان. خلعت الخاتم الماس من اصبعها وقذفت به لهم وقالت «أعني ما أقول، لو لمست شعرت من رأس راي..»

كانت أعصابها تحترق وهي تسرع بالسيارة «لتأديبه» ما فكرة إيدي عن التأديب؟ لو أسرعت لتحذر راي.

بمجرد أن دارت بالسيارة لتوقفها في موقف السيارات؛ كان جسدها يرتجف بأكمله. كانت هناك سيارة إسعاف واقفة بجوار المدخل، محاطة بمجموعة من الناس، أنوارها الزرقاء مضاءة، كما شاهدتها في الحلم.

هذا حلم يقظة، كابوس وسط النهار أوقفت السيارة بجوار

www.liilas.com

سيارة الشرطة البيضاء هبطت جيني من سيارتها، تركت الباب مفتوح سألت «ماذا حدث؟» التفت لها رجل أصلع وهز كتفيه «شجار عنيف بين رجلين أحدهما في حالة سيئة» أشار إلى سيارة الإسعاف هو داخلها».

أطلقت السيارة صفارة تحذيرها وشقت طريقها وسط الزحام في إتجاه المستشفى.

تابعتها جيني، عاجزة عن الحركة، عن التفكير عن الكلام.

بعدئذ سمعت صوت راى «جيني» وتقدم ناحيتها، مادا ذراعيه، أسرعت إليه، تعلقت به، صاحت «حمداً للرب! على أن المصاب لست أنت! هل أصبت يا عزيزى؟»

«بعض الخدوش» كان وجهه متجهماً عيناه غائمة «ماذا تفعلين هنا؟».

«جئت أبحث عنك، هذا الرجل شاهدنا عند النهر في الصباح ـ وأرسله مايلز ليهاجمك»

«آه، هكذا، إيدى لم يكن بحاجة لتحريض كان عدو قديم لى.. ظننته فعلها لذلك».

صاحت جيني عندما رأت جرحاً كبيراً في وجنه راى «لقد جرحت! ماذا حدث؟»

«لا أدرى، كنت خارجا من المدخل الخلفى عندما تقدم نحوى، كان معه قبضة حديدية»

شعرت بإغماء «آه، راى»

«كان سيقتلنى، لو لم ألمحه بجانب عينى تلقيت أول لكمتين، ثم ضربته، لكن لم أقصد أن أوقعه هكذا».

همست «هكذا؟»

«لقد تكسرت رأسه وهو يقع وظل فاتحا عيونه وينزف

دما، أظننى قتلته يا جيني».

«شكراً على إبلاغك، سأبلغه»

وضعت جيني السماعة ثم عادت إلى غرفة النوم سيكون يوما رائعا آخر، السماء صافية تسطع من نافذة شقتها.

ضجة صباح الإثنين الساعة الثامنة تملأ أركان الشارع، عادت إلى السرير، محاولة ألا تزعج راى، لكنه إلتفت إليها، مد يده ليمسكها، قالت بلطف «اللعنة، كنت أتمنى ألا يوقظك التليفون، أنت بحاجة للراحة بعد ضربة الرأس».

ابتسم «أعرف ما أحتاجه» قبلها برقة، هذا هو الرجل الوحيد الذى أحبته.

قالت «ألا تريد أن تعرف من الذى تحدث»

«كل ما أعرفه، بعد ليلتين في سريرك، وعدم إفاقتى، أننى سأجن بك».

«أنت مرهق بحاجة للراحة».

ضحك «لست بهذا الضعف»

قالت «عندما ستتزوج.. سنرى».

«وهو كذلك.. من الذى تحدث في التليفون؟»

«المستشفى، حصلوا على نتائج الأشعة لايدى»

«نعم»

«ليس هناك كسور، سيخرج غداً»

«المسكين»

«لا تقل هذا، كان سيقتلك، ولو لم يشاهد الرجلان الذى شهدوا أنه الذى هاجمك.. أنتَ بحاجة لرعاية يا راى، لا أدرى ماذا كنت ستفعل بدونى»

«ولا أنا، لكن لن أتصرف بدونك بعد ذلك يا جيني،

www.liilas.com Behana

ولا حتى لحظة واحدة، هذه العطلة الاسبوعية، كانت أسعد أيام حياتي »

« رغم قضائها في السرير مريضاً »

« لقد تعلمت ضبط النفس، وأنت أصبحت جزءاً مني، ولا أدري كيف تحملت الابتعاد عنك كل تلك السنين » .

« قلت أن لك مبرراتك، وأنا أصدقك » .

قالت جيني « لم أرى أمي تضحك أو تبدو بمثل تلك السعادة منذ وفاة أبي، كانت سعيدة جداً بك وبي، كل أصدقائي أيضاً .. »

« لا تندهشي هكذا، هناك اناس لم يوافقوا على رأيك وإلا لكنت خسرت القضية » .

« أنت لم تخسرها أبداً، كسبتني لأرعاك »

« وأنت كسبتني لرعايتك، أحيانا يكون لك أفكار غريبة مثل الموافقة على الزواج من مايلز لاجتون » .

« يا ربي كيف فكرت في ذلك .. »

« لا تفكري الآن، على أي حال، بعد شهرين يمكنك استرجاعها وتضحكين على الأمر كله » .

قالت جيني بهدوء « لن أضحك أبداً على ما حدث، كيف أضحك وكنت سأفقدك للأبد ؟ »

« آه، كنت لن تفقدني للأبد » ابتسم راي « لو فشل كل شيء كنت سأنفذ خطة الطوارىء رقم ٩ » .

« نعم، ما هي خطة الطوارىء رقم ٩ ؟ »

« إن لم استطع منعك منعك من الزواج من مايلز كنت سأختطفك ليلة الزفاف، وأذهب بك إلى لندن، أحبسك في مخزني حتى تثوبي إلى رشدك » .

ضحكت جيني « أكنت جاداً ؟ »

أومأ برأسه « طبعا، كنت جاداً، أنت تعنين لي كثيراً، وكنت لن أدعك تتزوجين رجلاً آخر، خصوصاً مايلز لاجتون » .

تنهدت « حتى عندما كنت اعتبره مهذباً، شريفاً .. »

رد راي بجهامة « لم أكن أراه كذلك، أعرفه منذ زمن، منذ طفولتي، تورط أبي مع مايلز حول صفقة أراضي، قدم له مايلز عرضاً غير قانوني، مما جعل رجلا يخسر أمواله . وخذله والدي، وهدده بإبلاغ البوليس، مالم يرتب مايلز الأمر بحيث لا يصاب أبي بسوء، كان شخصا مراوغاً إنتهازياً منذ القدم يا جيني، وهو يعرف أنني كنت أعرف، لذا كان دائماً يكرهني » .

سألته « لماذا لم تخبرني بذلك » .

تحداها « هل كنت ستصدقين ؟ كنت مصممة على رفض أي شيء أقوله عنه فضلاً عن كون المسألة كانت مدى صلاحيته كزوج وليست نزاهته كمدير بنك » .

« مايلز ليس زوجاً كفئاً أو صالحاً، جيسكا كانت على حق، الرجل لا يلائمه الزواج، آه، يا راي، كنت مجنونة ! »

أغمضت عيونها وهي ترتجف « هذا أفضل تفسير كنت مجنونة، طبعا، جننت عندما تركتني وحيدة طويلا، ماذا سيحدث له الآن يا راي ؟ يجب أن يدفع الثمن، لماذا لا نبلغ الشرطة عن تحريضه لابدي لضربك ؟ هذا إنتقام جاد ولن أغفر له أبداً » .

« أيستهويك قضاء اسبوعين أو عدة أسابيع للتردد على مراكز الشرطة والمحاكم، لتقديم الأدلة مواجهة التحقيقات ؟ حضور المحاكمة ستنهي بسجن أبدي وخروج مايلز بسهولة لما سيدفعه ؟ »

www.liilas.com

«لكن يجب تحقيق العدالة»

«لتترك مارجريت ايزى ذلك، لديها قوة عليه الآن، لو افصحت بكلمة عما كان يفعله، سيدمر للأبد. ولقد عانت منه كثيرا، أكثر منا. وكم لكمة أو خدش ثمن بخس لاستعادتك نظيفة كاملة».

«أتساءل عما يمكن أن تفعله مارجريت؟»

«هذا يعتمد على مدى غضبها منه»

«لو كنت المسئولة لأجبرته على الاستقالة»

«أظنه سيسدد لها كل ديونها هذا الصباح»

«لقد عرض على وضع عشرة آلاف جنيه فى حسابى، قلت له يدفعها لمارجريت».

قال لها راى «لا أريدك أن تعملى فى أى بنك منك أرجوك أن تركزى فى لوحاتك ورسمك، فهو مستقبلك، أنا مقتنع بذلك، يجب أن تسيرى فى مضمار الفن.. أنت موهوبة يا جينى».

«لقد أدركت أمس فقط كم كانت أمى تكره مايلز، وكتمت ذلك بسعادتى».

«الأمهات يردن السعادة لبناتهن ستعرفين ذلك بنفسك ذات يوم».

«ذات يوم قريب، أريد أن أنجب أطفالاً لك يا راى، لذا لابد أن أعمل حتى أشارك فى رعاية أسرة، الرسم لن يوفر لى مالاً».

«كيف يمكننى أن أحل كل هؤلاء الأطفال على الموتوسيكل؟»

«يجب أن تكافح لشراء سيارة؟»

«ضحك بنعومة «سيارة؟ لن يكون ذلك صعبا، لدى

مئات السيارات لأختار منها»

ابتسمت وكأنه يمزح «ألديك؟»

«إمممم» وقبلها وعدتك، وأرجو أن تعدينى ألا تغضبى منى يا حبى».

سألته «متى؟»

«قريبا، عندما نعود إلى لندن، ستشاهدين منزلى.. وأعمالى»

قطبت جبينها «أية أعمال؟»

«عملى، مؤسسة تأجير سيارات، كل شىء من الفيرارى والرانج روفر».

تفحصت وجهه «أهذا.. حيث تعمل؟»

«هم يعملون لحسابى، أنا صاحب المؤسسة يا جينى» وهى تنظر بعيون ساهمة، ضحك راى، وقبلها «ستفاجئين يا حبيبتى، هل تتخيلين أننى كنت سأطلب زواجك وأنا معدم».

«لست فاهمة..!!»

«طبعاً، لن تفهمين، كنت تعتقدين أننى سأجعلك تعيشين على ظهر موتوسيكل، متجولا، تعيشين معى حياة غير شريفة سخيفة مملة؟ وأهدر بقية عمرك معى».

«آه، يا راى، لا أصدق، هل أنت جاد؟ تمتلك شركة؟»

«نعم، ألا تؤمنين بقدراتى؟»

«طبعاً، أؤمن، وأنك قادر على أى شىء فى العالم، لو ركزت فيه، لكن مايلز قال لى..»

«ماذا قال لك؟»

«يا ربى، كيف صدقته؟ قال لى أنك.. تقوم بعمل

www.liilas.com

إجرامي، لا وظيفة لك ولا مال لديك، تعيش بلا هدف.. إدعى أنه أتصل بفرع البنك الذى تحول منه شيكاتك وكان معه براهين على ذلك وروايات».

ابتسم متجهما «يبدو أنه إتصل فعلا، لأن ذلك يرعبه أكثر، لمعرفته أننى أغنى منه، لذا يبذل كل جهده لتلويثى».

بصوتها الرقيق «راى، من فضلك لا تزعم انك ثرى، لا أتحمل ذلك..».

«هذا يعتمد على معنى الثراء، لفحه الشمس لوجهى هذه من عملى فى مزرعة لاكون»

«كيف تكون ثريا إذن؟»

وقبلها مرة أخرى «لم أحسب أموالى منذ فترة مازلت بعيداً عن كونى مليونير يا جينى لكننى أمتلك ثلاثة جراجات مليئة بكل أنواع السيارات الفاخرة، وزبائن تؤجرها، بمعدل سريع، كل عام، بتطور العمل، تذكرى تلك الفيراري؟»

«نعم»

«ليست سيارة كيت لاكون، إنها سيارتى»

جلست صامتة، تحدق فيه، محاولة أن تستوعب الأمر. تتذكر كل ما قالته له طيلة الأسابيع الماضية، وتتمنى لو قطعت لسانها فى النهاية قالت «أتخيل لماذا لم تخبرنى من قبل يا راى، ولن أشعر برعب بعد ذلك فى حياتى».

«لن تجرؤى على البكاء بعد ذلك، كنت أريدك أن تتزوجينى لذاتى، كان مسلياً التظاهر بأننى معدم كما كنت، يا ربى، كم إفتقدتك..، كل ما كنت أفعله طيلة حياتى الماضية، أنتظرك حتى تكبرين، أجمع المال لأوفر لك كل ما تحلمين به، بدأت بميراث تركه لى أبى، عندما كان عمرى

واحد وعشرين عاما، أبى الحقيقى، كان يستثمر لى مالاً قبل موته، كان مبلغاً ضخما، كان بإمكانى طلب زواجك وقتها، لكنك كنت صغيرة لذا قررت استثمار ميراثى، بدأت شراء سيارتى محطمة من غرب لندن.. عندما تعود ستعرفين كل شىء.

«يجب أن تعترف أن منظرك لا يشبه رجال الأعمال، خصوصاً بذلك القرط الذهبى فى أذنيك، والموتوسيكل.. هذا شىء يصدم حساسيات جرانتلى كما تعرف».

«سنغادر جرانتلى ونتركها خلفنا، سنعود لزيارتها فقط، لكن من الآن يا حبى، حياتنا فى لندن، وستجبين لندن»

«أعرف ذلك»

«قلت لك لا يروقنى ارتداء الملابس الرسمية، وعملائى لا يهمهم ذلك».

«خصوصاً النساء»

«قلت لك أننى تغيرت كثيراً»

لم أعد أهتم فقط بالمظهر الخارجى، مع ذلك لو أردت، سأحلق شعرى، أخلع القرط الذهبى».

«لا تجرؤ على قص شعرك إنه جميل، لكن لا يعجبنى القرط، منذ أن قلت أنه من معجبة وهو يلائمك، لذا سأشترى لك واحداً».

«إذن تقبلينى كما أنا»

«طالما تقبلنى كما أنا، أقسم لك سأكون زوجة تفخر بها مخلصة».

«أعرف ذلك، لكن لم أتوقع لسانك الجارح من قبل».

«كنت أشعر وكأننى أسقطت من طائرة على أم

www.liilas.com

رأسى !! »

« أتعرفين ، الرجل السيء ربما تواتيه مثل تلك الفرصة فى النهاية » .

همست « أنت حلمى ، حلم حياتى ، أحبك يا راى ، أحببتك دائماً ، وسأظل أحبك ، كنت أتمني ألا تكون ثريا » .

ضحك « ستتعودين على الثراء »

« لكنك كنت همجياً ، رومانسيا ، غير مسؤولاً صانع مشاكل .. »

« سأظل همجياً فى حبى ، رومانسيا ، لكن زوجاً مسؤولاً بأقصى جهده ، إنتظرى لتعرفى » .

« لا ، لن أنتظر أكثر من ذلك ، لقد غيرت رأيى يا حبيبى ، لقد تعبنا من الانتظار الآن ، تحقق حبنا ، رباطنا المقدس للأبد .

www.liilas.com

Rehana